The magician
رواية
الساحر
عندما تبيع نفسك للشيطان
عمرو صبحي
القاهرة
AL QAHIRA

السَّاحـــر

(عندما تبيع نفسك للشيطان)

عمرو صبحي

عنـــوان الـكـتاب: الساحر (رواية)
للكاتب: عمرو صبحي
تدقيـق لغوي: خلود أحمد مُحمد
تصميم الغـــلاف: بسمة فرج
تنـسيـق داخـلـي: رحاب محمد عبد الله
الطبعة الأولى ٢٠٢٤ م -١٤٤٥هـ
رقم الإيـداع: /2023
الترقيم الدولي: - - -978-977

رئيس مجلس الإدارة
د/ أحمد جمال

جميع الحقوق محفوظة ويحظر طبع أو
تصـوير أو تخـزين أي جـزء مـن الكتـاب
بأية وسـيلة مـن وسـائل تخـزين المعلومـات
إلا بإذن كـتابي صريح من الناشر

إهداء

أُهدِي هذا العمل إلى عائلتي وأصدقائي الذين دائمًا ما وقفوا بجواري وقاموا بمساندتي وتشجيعي على استكمال ما بدأته، كما أُهديه إلى رُوح أبي الغالي - رحمة الله عليه- والذي دائمًا ما أريد أن أخبره بما وصلت إليه في حياتي العمليَّة والشَّخصية لأجعله فخورًا بي.

مُقدِّمَـــة

مَن سلكَ طرِيق الشَّيطَان فلن يُجنِي سوى الألم والعذاب، حتَّى ولو خُيِّل له عكس ذلك، ففِي النهاية لا يجد مخرجًا مِن هذا الطَّرِيق المؤدِّي إلى الهلاك..

فعليكَ أن تختار أي طريق سوف تسلكه وتعلم عواقب اختيارك.

الكاتب

عمرو صبحي

***

ليلٌ طويلٌ كليالِ الشِّتاء الباردة، قطرات المطر تضرب زجاج نافذتي، صوت الرعد يكاد يصم أذنيَّ وضوء البرق يكاد يخطف بصري..

بصري الذي ما عدت أرى به سوى القليل؛ نعم فلقد ضعف بصري.

كنتُ دائمًا أبحث عن نفسي حتَّى أشعر بذاتي، ولكنِّي لم أكن أعلم بأن ذلك سيؤدِّي إلى هلاكي، عندما سلّمت نفسي للشيطان وأصبحت عبدًا له طامحًا بالفوز بكل شيء في هذه الدنيا القبيحة.

ولكن مَن أراد كل شيء خسر كل شيء.. أما الآن فقد خسرت نفسي وتنازلت عن كل شيء ولم أجني سوى الهلاك والعذاب.

الآن أنتظر نهايتي التي طالما تمنَّيتها حتَّى أستريح مما أنا فيه، لكنه يظل يعذبني ويتلذذ بألمي، كيف لا وهو من يتملكني...؟!

ألم رهيب يضرب رأسي، أشعر بأنني أحترق من داخلي وكأن دمي يصل إلى درجة الغليان، كم تمنَّيت الموت هربًا مِن هذا العذاب لكنه يأبى راحتي؟ يود لو أخلد فيما أنا فيه، لقد صدق مَن سمَّاك شيطانًا رجيمًا.

ارحمني أتوسل إليك، أتركني أموت لأستريح من عذابي هذا، لم أعد أقوى على الوقوف على قدمي، أنا طريح الفراش منذ ما يقرب مِن الخمس سنوات حتَّى التصق جسدي بالفراش، لم أذق طعامًا ولا شرابًا حتَّى سِرت كالمومياء، جسدًا نحيلًا، عين جاحظة، ثقيل الحركة، أشعر ببرد شديد يكاد يجمد دمي وجسدي، والعرق يتصبب منِّي بغزارة وكأنني أحترق من شدة الحرارة، يا لهذا الشيطان اللعين..!

بالطبع تريد أن تعرف مَن أنا وماذا أصابني.. حسنًا سوف أخبركَ بكل شيء وأقص عليك قصتي حتَّى تشعر بما أنا فيه الآن، فما أنا عليه الآن لا يتحمله بشر قط، سوف أحكي لك كل شيء حتَّى تتعظ وتتعلم لكي لا تسير في درب الشيطان، ولا تسلك ذلك الطريق مهما تكلف الأمر..

يا الله، الألم شديد، جسدي يحترق، رأسي تكاد أن تنفجر من شدة الألم!

أنا علي إسماعيل المصري، أبلغ من العمر الآن أربعين عامًا، نعم أبلغ أربعين عامًا، ولكنني يبدو على أنني في السبعين من عمري بسبب ما أنا فيه..

كنت شابًّا فتيًّا ذكيًّا، قالوا عني إنِّي كنت شابًّا وسيمًا إلى حدٍّ ما، كنت أقطن بحي شبرا بالقاهرة، سوف أقص لك قصتي منذ البداية ولكن تحمَّلنِي فمن الممكن أن أنسى بعض الأحداث بسبب مرضي هذا، لكن الأحداث التي أدَّت بي إلى ما أنا فيه الآن بالطبع سأتذكرها..

الآن أنا في العشرين مِن عمري، درست الفلسفة بكلية الآداب جامعة عين شمس، أعيش مع أسرتي الصغيرة بحي شبرا كأي أسرة مصرية بسيطة متوسطة الحال، أبي إسماعيل المصري، يعمل معلم لغة عربية بإحدى مدارس المرحلة الثانوية، وأمي فاطمة حسين الشوربجى، موظفة بهيئة التأمينات الاجتماعية، أما أخي

الأكبر والوحيد - عبد الله - فكان يكبُرني بعامين وقد تخرج في كلية الحقوق، وكان يعمل محاميًّا تحت التمرين بعدما قضى عامًا مجندًا بالجيش المصري.

تخرَّجت في الجامعة كما أخبرتك من قبل، وكان طموح أبي وأمي بأن أصبح مُعيدًا بكلية الآداب، وكان هذا حلمي أيضًا، فكنت متفوقًا في دراستي حتَّى نجحت وأصبحت من الخمس الأوائل على كلية الآداب بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، ولكن ما حدث بعد ذلك قد غيَّر حياتي تمامًا.

تقدمت لهيئة التدريس بكلية الآداب حيث إنني كما أخبرتك من الخمس الأوائل بالكلية، وكان طبيعيًّا بأن يتم قبولي معيدًا بالكلية، ولكن حدث عكس ذلك تمامًا، فأبي لم يكن مِن ضمن أعضاء هيئة التدريس، ولم أجد مَن يتوسَّط لي لديهم، حتَّى أنهم قد قبلوا تعيين من كان أقل منِّي في التقدير العام والترتيب، وتم رفض طلبي وقبول من كان أدني منِّي، رأيت الدنيا وقد كساها السواد واليأس، أصبت بالإحباط، عملت مدرسًا للفلسفة

بإحدى المدارس الحكومية ولكن كنت أعمل بالحصة، وجدت نفسي موظفًا حكوميًّا يتقاضى أجرًا زهيدًا كل شهر، تملَّك منِّي اليأس، كرهت كل شيء، حتَّى دراستي التي كنت متفوقًا فيها، الفلسفة التي دائمًا ما كنت شغوفًا بها، كانت أسرتي تنظر إلى بعين الشفقة فقد ضاع الحلم الذي كانت تعيش عليه وضاع الأمل الذي كان يملأ قلوبهم، أصبحت عصبيًّا نوعًا ما لا أتحمَّل الحديث مع أحد، حتَّى أخي عبد الله لم أعد أحتمل الحديث معه، كنت دائمًا ما أغلق على غرفتي بالساعات بل بالأيام، أقرأ بعض الكتب التي ما كنت دائمًا أهرب من حياتي بداخلها، حتَّى وجدتني أقرأ في السِّحر وتحضير الجن والشياطين، أبحث عن معلومات عن السحر على شبكة الإنترنت، أشاهد عروض السحر العالمية بالتلفاز، ما علاقة تلك العروض السحرية بالسحر الذي أقرأ عنه؟ لا أعلم، أصبح لديَّ فضول لمعرفة تلك الطرق الخفية والغريبة التي يقوم بها هؤلاء السحار، وجدت نفسي أرتاد السِّيرك القومي لمشاهدة العروض السحرية وأبحث عن

فيديوهات لسحار عالميين مثل الساحر الأمريكي الشهير ديفيد كوبرفيلد، وأقرأ عن أعظم السحار في التاريخ مثل كورنيليوس اجريبا.

وجدت نفسي أفكر كثيرًا في كوني أصبحت ساحرًا مشهورًا وعالميًّا مثل هؤلاء حتَّى عزمت الأمر بأن أترك وظيفة المعلم ودراسة الفلسفة وأن أتعلم السحر وفنونه ومبادئه، كانت العقبة الوحيدة أمامي هي أسرتي، كيف أقنعهم بذلك خاصة بعد أن خاب ظنهم بي بعد أن كنت متفوقًا بدراستي ملتزمًا؟ كيف سيقبلون ذلك التحول الكبير الذي سوف أصبح عليه، عرضت الأمر عليهم، كما توقعت، الرفض التام من أبي الذي كان يقول لي هل تريد أن تصبح مهرجًا بالسيرك؟ سوف تجلب العار علينا وعلى العائلة، أما أخي عبد الله فكان دائم التوبيخ والاستهزاء بي، كيف أقوم بتشويه صورته ووجهته الاجتماعية أمام الناس؟ أدركت وقتها أن الجميع يبحث وينظر إلى مصلحته الشخصية ومظهره أمام الناس، حتَّى عندما أرادوا أن أكمل دراستي وأن أصبح معيدًا

بالجامعة، كانت لوجاهتهم الاجتماعية فقط لا غير، أما أنا وماذا أريد فهذا لا يهم؟ عزمت الأمر واتخذت قراري بأن أترك المنزل وأعيش وحيدًا وأن أبدأ بتعلم السحر وفنونه.

القاهرة – صيف عام ٢٠٠٣؟

الساعة الآن السابعة مساءً بتوقيت القاهرة، في شقتنا المتواضعة بحي شبرا، جلست مع أسرتي أتحدث معهم وأخبرهم بقراري وبما عزمت عليه.

أبي: أنت بتقول إيه؟ أنت اتجننت؟! عايز تسيب شغل التدريس والفلسفة وتشتغل مهرج في سيرك؟

أنا: اسمه ساحر يا بابا مش مهرج، أنا مش هشتغل مدرس أخد ٥ جنيه في الحصة.

أمي: يا بني أصبر كل حاجة بتيجي في وقتها، وأنت لسة متخرج وفي أول الطريق هتتعين وتبقي مدرس أد الدنيا.

أنا: مدرس أد الدنيا؟ وهعمل إيه بالتدريس؟

وهقبض كام؟ هو بابا عمل إيه بالتدريس طول عمره؟

عبد الله: أنت اتجننت ازاى تتكلم كدة عن والدك؟ أنت عايز تفضحنا؟

أنا: دي حياتي وأنا حر فيها أعمل اللي أنا عايزه، كل واحد فيكم بيعمل اللي هو عايزه وأنا عمري ما اتدخلت في حياة حد فيكم، أنا خلاص أخدت القرار.

أبي: اعمل حسابك أنت لو خرجت من البيت وعملت كدة هكون بريء منك ومن أفعالك..

نظرت إليهم جميعا بغضب ثم نهضت من مجلسي وذهبت إلى غرفتي، جمعت ملابسي وأغراضي في حقيبتي وهممت لأخرج من الغرفة حتَّى اعترضني أخي عبد الله..

عبد الله: أنت رايح فين؟ مش هتخرج.

أنا: ابعد من طريقي يا عبد الله أنا هخرج يعني هخرج.

عبد الله: اسمع الكلام يا علي أنت عايز أبوك يغضب عليك؟

أنا: خليك أنت جنب أبوك علشان يرضى عليك، تقدر تقولي هو عمل إيه لما اترفضت إني أكون معيد في الجامعة؟ لو كان أبوك غني أو صاحب سلطة كانت الدنيا اتغيرت، أنا مش عايز أولادي يشوفوا اللي أنا شوفته يا عبد الله.

عبد الله: ولما تشتغل في سيرك هتبقى غني وحياتك هتتغير وهتبقى صاحب سلطة؟

أنا: بكرة تعرف إني كنت صح وأنتوا غلط.

عبد الله: طيب اقعد نتفاهم.

أنا: خلاص يا عبد الله مفيش تفاهم، أشوف وشك على خير.

عبد الله: يا علي اسمع الكلام... علي... علي..

تركته واستدرت متجهًا إلى باب الشقة ولم أعِره اهتمامًا، كانت أمي تنظر إليَّ وهي تبكي، وهمت بأن تأتي خلفي حتَّى جذبها أبي من ذراعها، التفت إليهم، نظرت

إليهم للحظات قليلة، ثم تركتهم وغادرت المنزل تاركًا أمي تبكي وأبي قلبه منفطرًا وأخي مندهشا من فعلتي.. لقد تملَّك مني اليأس وكفرت بكل تلك القيم والمبادئ التي علمني إيَّاها أبي، تلك المبادئ العقيمة التي لا تسمن ولا تغني من جوع...

خرجت من المنزل أحمل حقيبتي وكنت أعلم وجهتي.. توجهت إلى السيرك القومي بحي العجوزة، دخلت السيرك وجلست بين الجمهور لمشاهدة تلك العروض المدهشة، برأت العروض بذلك المهرج الذي يعجب الأطفال ثم تبعه عرض ترويض الأسود ثم عرض الأكروبات، حتَّى حان وقت العرض المنتظر.. عرض الساحر.. جلست أتابع ذلك العرض باهتمام شديد وتركيز في كل حركة يقوم بها هذا الساحر، كنت مستمتعًا جدًّا بذلك العرض وكأنني كنت جالسًا وحيدًا أشاهد.

انتهى العرض أخذ الجمهور يصفق إعجابًا، تخيَّلت نفسي مكان هذا الساحر والجميع يصفق إعجابًا بي

وبعروضي، تخيَّلت أنني قد أصبحت ساحرًا عالميًّا مثل ديفيد كوبرفيلد.

خرج الجمهور مِن السيرك سعيدًا منبهرًا بعروض السيرك وخاصة عرض الساحر. لكني ظللت في مكاني حتَّى خلى السيرك كله من الناس، كنت أنظر في كل مكان معجبًا بتلك الأجواء حتَّى رآني ذلك الرجل، إنه الرجل الذي كان يقوم بتقديم الفقرات والعروض، كان يقوم هو وشخص آخر بجمع المتعلقات والأدوات الخاصة بألعاب السيرك، كنت أجلس في هدوء شاردًا في أفكاري حتَّى أتى إليَّ فوجدته واقفًا أمامي.

رجل السيرك: يا أستاذ، أنت قاعد ليه؟ الناس كلها خرجت واحنا هنقفل.

أنا: أنا عايز أقابل الساحر.

رجل السيرك: ساحر مين؟ بقول لحضرتك احنا خلاص هنقفل، تعالى بكرة تاني لو عايز تتفرج على الساحر.

أنا: حضرتك أنا عايز أقابل الساحر في موضوع شخصي.

رجل السيرك: موضوع شخصي؟! عمومًا الساحر مشي خلاص.

أنا: مشي؟ راح فين؟

رجل السيرك: مشي، خلص فقرته ومشي، راح بيته.

أنا: طيب ممكن حضرتك تقولي عنوان بيته؟

رجل السيرك: أنت عايز إيه بالظبط يا بني؟ أنت تعرفه؟

أنا: أنا قولت لحضرتك عايزه في موضوع شخصي، موضوع مهم.

رجل السيرك: إيه هو الموضوع ده وأنا لمَّا أشوفه هاقوله؟

أنا: أنا عايزه هو شخصيًّا مش هينفع أقول لحضرتك حاجة.

وقف الرجل ينظر إلى مندهشًا من إصراري على مقابلة الساحر، حتَّى يأس مني.

رجل السيرك: ماشي، تعالى معايا.

ابتسمت ونهضت من مكاني وسِرت معه متجهًا إلى داخل كواليس السيرك، سِرنا معًا في طريق بين أقفاص حيوانات، عمال السيرك ينظرون إلينا بدهشة يتساءلون عن هويتي، من هذا الشخص؟ وماذا يريد؟

دخلنا بطرقة مليئة بالغرف، حتَّى وقفنا أمام غرفة من تلك الغرف، باب خشبي يبدو قديمًا نوعًا ما كتب عليه (عز)، وتحت ذلك الاسم رسمت نجمة مضيئة بمصابيح صغيرة.

طرق الرجل الباب حتَّى سمعنا صوتًا ما بالداخل.

الصوت: مين بيخبَّط؟

رجل السيرك: أنا فتحي.

الصوت: خيريا فتحي في حاجة؟

رجل السيرك: افتح يا عز معايا حد عايزك.

الصوت: حد؟! حد مين؟!

رجل السيرك: افتح يا عز وأنت تعرف.

فتح الباب فإذا به واقفًا ينظر إلينا.. إنه هو، الساحر، نظر إلينا بدهشة متسائلًا..

عز: في إيه يا فتحي؟ ومين ده؟

رجل السيرك: ده واحد مصمم يقابلك.

عز: يقابلني أنا؟ مين حضرتك؟

أنا: أنا اسمي علي المصري وكنت عايز حضرتك في موضوع مهم.

عز: موضوع مهم؟ هو حضرتك تعرفني؟

أنا: أنا اتفرجت على عروض كتير لحضرتك ومعجب بحضرتك جدًّا.

عز: معجب؟! عايزني أوقعلك على أوتوجراف يعني؟

أنا: لا عايزك في حاجة أهم.

عز: اتفضل قول بس بسرعة علشان مستعجل.

أنا: طيب ممكن ندخل الغرفة ونتكلم؟

نظر إلى فتحي بدهشة والذي مد شفتيه معبرًا عن جهله بذلك، ثم نظر إليَّ وأشار بالدخول، دخلنا الغرفة، كانت جدران الغرفة مزينة بصور عز وهو يقوم بعروضه السحرية، أخذت أتفقد تلك الصور وعز واقف ينظر إليَّ بدهشة وتعجب من أفعالي تلك، حتَّى التفت إليه ونظرت في عينيه.

أنا: أستاذ عز، أنا عايز أتعلِّم منك.

عز مندهشًا: تتعلم مني ؟! تتعلم مني إيه ؟!

أنا: فنون وأسرار السحر.

عز: عايز تتعلم السحر؟!

أنا: عايز أتعلم منك كل أساليب وأسرار وفنون السحر.

عز: يا بني دى خفة يد وتدريب سنين.

أنا: وأنا جاهز أتعلِّم.

نظر إليَّ باستغراب ودهشة من إصراري وعزيمتي.

عز: قولتلي اسمك إيه؟

أنا: علي المصري.

عز: إيه السبب إنك عايز تتعلم السحر؟

أنا: حبيت السحر وعندي شغف وولع إني أتعلمه وقرأت كتير عن السحر والسحرة القدامى، ونفسي أبقى أكبر وأشهر ساحر في العالم كله.

كان ينظر إليَّ بإعجاب من طريقتي في الحديث ومِن حماستي وإصراري ويستمع إليَّ باهتمام.

عز: طيب يا علي، أنا عندي حفلة دلوقتي، ممكن تيجي بكرة الساعة ١٠ صباحًا ونشوف هنعمل إيه.

ابتسمت فرحًا وهززت رأسي إيجابًا، خرجت من غرفة عز سعيدًا بقبوله تدريبي وتعليمي أساليب وفنون السحر، وشعرت بأنه قد آن الأوان لأعوض عن ما حدث

لي في حياتي، ولكن كان هناك ما يدور في عقلي، أين سأقيم ليلتي؟ ليس لي مكان لأبيت فيه ولم أكن أمتلك ما يكفي لأستأجر غرفة لليلة واحدة، كما أنني لم أتناول الطعام منذ الصباح..

خرجت من السيرك أسير في الشوارع أحمل حقيبتي أبحث عن مكان يأويني، الجوع قد قرصني ولم أعد أحتمل السير، وجدت مطعمًا للمأكولات الشعبية، دخلت المطعم وطلبت طعامًا بسيطًا تناولته وأكملت سيري بالشوارع، وجدت حديقة يحوطها سورًا حديديًّا ولها باب واحد لكنه مغلق، فالساعة الآن تقترب من الثالثة صباحًا، أشعر بتعب وإرهاق شديد مما عانيته طيلة ذلك اليوم، وجدت نفسي أتسلق الصور الحديدي للحديقة وأقفز داخل الحديقة، أخذت أبحث عن مكان أتوارى خلفه بعيدًا عن أعين الناس لأنام به حتَّى الصباح، حتَّى وجدت مكانًا ملائمًا خلف شجرة كبيرة كثيفة الأفرع والأغصان عريضة الجذع، وضعت حقيبتي على الأرض وجلست، فتحت الحقيبة وأخرجت منها قميصًا

افترشته على الأرض، استلقيت ووضعت رأسي على الحقيبة حتَّى غلبني النوم من شدة التعب.

وجدت نفسي واقفًا في مكان كثيف الدخان يسوده ضوء أحمر، أشعر بحرارة شديدة كأنه الجحيم، شعرت بخوف شديد وقلبي يسرع في نبضاته كأنه سيترك صدري وينخلع منه، أخذت أتفقد المكان وأدور حول نفسي لا أعلم أين أنا، أخذت ألتفت يمينًا ويسارا حتَّى سمعت صوتًا غليظًا مرعبًا ينادي علي صوتًا يكاد يصم الآذان، تنخلع منه القلوب رعبًا، علي... علي... علي....

أخذت ألتفت حول نفسي باحثًا عن مصدر ذلك الصوت المخيف وأنا أردد بصوت مرتعش في خوف وفزع.

أنت مين؟ أنا فين؟

الصوت: أنت في حضرة أمير النور، سيد السحر.

أنا: أنت مين؟ أنا فين؟ إيه المكان ده؟

الصوت: أنت بتحب السحر يا علي ونفسك تكون أقوى وأكبر وأشهر ساحر في العالم.أنا هساعدك تبقى

أكبر وأشهر ساحر في الكون كله.

أنا: أنت مين؟ وازاي هبقى أشهر ساحر في العالم؟

الصوت: نتفق وتنفذ كل شروطي وتوقع على عقد الاتفاق والعهد هنفذ كل أحلامك.

أنا: عهد؟! عقد اتفاق؟! عقد إيه وشروط إيه؟

الصوت: عهد بينا وعقد هتوقع عليه وتنفذ كل بنوده، وبعد توقيع العقد هتبقى أكبر وأشهر ساحر في العالم.

أنا: طيب أنت مين؟ إيه هو العهد ده؟ إيه هي بنود العقد؟

الصوت: فكر يا علي واختار، لو اختارت صح هتحقق كل اللي تتمناه، مال، شهرة، نفوذ.

صمت قليلًا مندهشًا مما أنا فيه، مما أسمعه وأراه، الضباب يزداد في المكان، الجو شديد الحرارة، فجأة وجدتني أشهق وأسعل بشدة حتَّى استيقظت فوجدت

نفسي في تلك الحديقة مستلقيًا تحت تلك الشجرة عريضة الجذع كثيفة الفروع والأغصان، وقد أشرقت شمس الصباح، وجدتني غارقًا في عرقي، أخذت أتحسس وجهي وجسدي مندهشًا مفزوعًا مما رأيت، هل كان حقيقة أم حلمًا؟ لا، لقد كان كابوسًا.

نهضت وأخذت أرتب ملابسي وأصفف شعري بيدي، نظرت في ساعتي فإذا بها الثامنة صباحًا، حملت حقيبتي وفتحتها ووضعت بها قميصي ثم أغلقتها، بدأت في التحرك مغادرًا الحديقة كما دخلتها متسلقًا للسور الحديدي، توجهت إلى ذلك المطعم ذي الأكلات الشعبية لأتناول فطورًا بسيطًا، ثم توجهت لإحدى المقاهي القريبة، جلست لأتناول فنجانًا من القهوة، جلست طويلًا أفكر فيما رأيت في منامي ليلة أمس حتَّى نظرت في ساعتي فوجدتها العاشرة إلا الربع، نهضت من جلستي وغادرت المقهى متوجهًا للسيرك لمقابلة عز الساحر كما اتفقنا، وصلت إلى السيرك في الموعد المحدد، دخلت فوجدت نفس الرجل فتحي الذي قابلته بالأمس، طلبت

منه الدخول لمقابلة عز فأخبرني بأنه يتدرب في ساحة السيرك، اصطحبني إليه فوجدته يرتب أدواته التي يستخدمها في عروضه السحرية، أقبلت عليه بصحبة عامل السيرك فتحي، نظر إليَّ وهو يبتسم ويلوح بيده إليَّ، أقبلت عليه بابتسامة شغف وطموح، صافحته وألقيت عليه التحية...

أنا: صباح الخير أستاذ عز.

عز: صباح الخير يا... علي مش كدة؟

أنا: مظبوط.. علي المصري.

عز: ها جاهز يا علي؟

أنا: جاهز جدًّا.

عز: حماسك ده يا علي هو اللي عجبني فيك، وهو اللي خلَّاني أوافق أعلمك وأدربك.

أنا: ده شرف كبير ليَّا يا أستاذ عز إنك أنت شخصيًّا اللي تعلمني.

عز: في البداية عايزك تعرف إن مافيش حاجة اسمها سحر، في حاجة اسمها خفة يد أو خدع بصرية، بتعتمد على خطف نظر الجمهور وتشتيت انتباهه بحاجة وأنت بتعمل حاجة تانية بخفة وسرعة، وده بيحتاج تدريب كتير وتركيز.

أنا: بس في سحر موجود فعلا وفي التاريخ القديم والحديث أمثلة كتير استخدمت السحر مش خفة اليد والألاعيب والخدع البصرية، استخدمت السحر الحقيقي.

عز: النوع ده من السحر يا علي قائم على الاستعانة بالجن والشياطين وده يعتبر كفر وشرك بالله، إنما إحنا بنستخدم أساليبنا دي لتسلية الجمهور مش أكتر من كدة يا علي.

أنا: بس أنا عايز أتعلم كل حاجة عن السحر، العادي القائم على الخدع البصرية وخفة اليد، وكمان السحر اللي من النوع التاني.

عز: لو عايز تتعلم أسلوب السحر بتاعنا هعلمك ولو عايز تعرف النوع التاني روح دور عليه في مكان تاني!

صمت قليلًا حتَّى اتخذت قراري بتعلم تلك الأساليب في البداية، وبعد ذلك سوف أتعلم السحر الحقيقي.

أنا: موافق يا أستاذ عز إني أتعلم منك.

عز: كويس... يالَّا بينا..

بدأ عز في تعليمي بعض الحركات والأساليب البسيطة كمبتدأ مثل اللعب بأوراق اللعب (الكوتشينة) واستخدام العصا السحرية والقبعة والمناديل الملونة وما إلى ذلك من تلك الألعاب التي يعجب بها الأطفال، كان عز معجبًا بسرعة تعلمي وبذكائي، ظللنا هكذا حتَّى نظر عز في ساعته فوجدها السادسة مساءً، نظر إليَّ مبتسمًا...

عز: الوقت سرقنا يا علي وأنا لازم أروح أستعد للعرض الليلة.

أنا: ممكن أحضر العرض من ورا الكواليس؟

عز: طبعًا ممكن يا علي، كمان علشان تتعود على منظر الجمهور.

أنا: طيب ممكن أفضل هنا لوقت العرض؟

عز: علي، أنت ماعندكش مكان تقعد فيه؟

أنا: للأسف لا.

نظر إليَّ عز بشفقة ثم وضع يده على كتفي...

عز: تعالى معايا.

اصطحبني عز إلى داخل السيرك وسرنا معًا في نفس الطرقة الضيقة بين أقفاص الحيوانات، كنت أسير معه وألتفت يمينًا ويسارًا ناظرًا إلى تلك الحيوانات المحبوسة بتلك الأقفاص، ولكن كان هناك شيء غريب، عندما كنت أمر بقفص حيوان أجد ذلك الحيوان ناظرًا إليَّ بحدَّة ثم يبدأ بالهياج، أصبحت الحيوانات جميعًا في حالة هياج غريب، هياج شديد، لا أعلم لماذا؟ وماذا حدث؟

كان عز مندهشًا من تصرفات الحيوانات وهياجها، نادى عز على شخص ما.

عز: رجب... رجب...

أتى ذلك الشخص مسرعًا ووقف أمامنا، سأله عز..

عز: في إيه يا رجب؟ الحيوانات مالها؟

رجب: مش عارف، دي حاجة غريبة فعلًا، أول مرة يحصل كدة.

عز: حاجة غريبة فعلًا، هي أكلت؟ ممكن تكون جعانة.

رجب: أيوة أكلت وشبعت كمان.

عز: غريبة، أمال في إيه؟

رجب: مش عارف يا عز.

عز: اتصرف يا رجب وشوف في إيه، العرض قرب خلاص.

رجب: حاضر... حاضر...

سِرنا سويًّا حتَّى وصلنا إلى غرفة مغلقة في آخر تلك الطرقة، فتحها عز، دخلنا وأضاء نور الغرفة، غرفة كبيرة يوجد بها ملابس وأدوات كثيرة، تبدو أنها مخزن لتخزين الملابس والأدوات الخاصة بالعاملين واللاعبين بالسيرك كانت توجد أيضًا بالغرفة لوحات كبيرة مغطاة بأقمشة بيضاء، أخذت أتفحص الغرفة في كل الاتجاهات، حتَّى قاطعني عز...

عز: أنت هتقعد هنا مؤقتًا يا علي، طبعًا هو مكان مش أد المقام، لكن ده مؤقت لحد ما أشوفلك مكان كويس تقدر تعيش فيه.

أنا: أنا متشكر جدًّا ليك يا أستاذ عز.

عز: اسمي عز من غير أستاذ فاهم، أنت من انهاردة أخويا الصغير.

هززت رأسي بإيجاب مبتسمًا، نظر إلى عز ووضع يده على كتفي..

عز: أسيبك دلوقتي ترتاح وهستناك تتفرج على العرض.

أنا: حاضر يا عز.

ابتسم عز وهو يربط على كتفي ثم خرج من الغرفة، أخذت أتفحص الغرفة وأرتبها. ووجدت مكانًا مناسبًا للنوم، وضعت حقيبتي، ألقيت بجسدي المرهق المتعب حتَّى غلبني النوم، وجدت نفسي واقفًا بنفس الغرفة ذات الأضواء الحمراء.. ذات الحرارة المرتفعة التي شعرت بها أمس، ذلك الضباب الذي يحجب الرؤية، وأنا أتحسس الخطى، وفي وسط الضباب، وجدت لوحة كبيرة في وسط الغرفة مغطاة بقماش أبيض، وقفت أنظر إليها حتَّى سمعت ذلك الصوت مجددًا، ذلك الصوت المرعب المخيف، كان ينادي علي ثانية.

- علي.. علي... علي...!

أخذت أتتبع مصدر ذلك الصوت، وكلَّما اقتربت من تلك اللوحة ازدادت قوة الصوت حتَّى علمت أن تلك اللوحة هي مصدر ذلك الصوت المرعب، اقتربت منها في هدوء وحذر، مددت يدي ببطء وأزحت القماش من

فوقها، تثبت مكاني فجأة من هول ما رأيت، اللوحة رسم عليها مهرج يرتدي قبعة سوداء ينظر إليَّ بحدة ويبتسم ابتسامة خبيثة مخيفة، عيناه شديدة السواد يغطي وجهه بمسحوق أبيض واللون الأحمر حول فمه، يسيل من عيناه سائل أحمر كأنه يبكي دمًّا.

تراجعت بضعة خطوات إلى الخلف، حتَّى نادى على الصوت مجددًا.

الصوت: قرب يا علي.. تعالى.

وقفت مكاني ولم أقدر على الحراك... شلَّ لساني، ارتعدت مفاصلي، كان سؤالي كيف للوحة أن تتكلم؟ ومن قام برسم تلك اللوحة المخيفة.

الصوت: طبعًا خايف ومستغرب.

أنا: أنت مين؟

الصوت: أنا قولتلك قبل كدة أنا مين، وممكن أعملك إيه.

أنا: أنا أكيد بحلم، أنت خيال مش حقيقة.

الصوت: أنا حقيقة يا علي.

أنا: أنت مين؟

الصوت: أنا اللي هخلِّيك أغنى وأسعد واحد في العالم.

أنا: ازاي؟

الصوت: تنفذ اللي قولتلك عليه وتوقع على العقد والعهد، تسلملي نفسك وروحك.

أنا: أسلملك روحي؟! ازاي؟

فجأة سكت الصوت واختفت الرسمة المخيفة وتحولت اللوحة إلى مرآة، أخذت أنظر فيها لم أرَ سوى انعكاس صورتي، فجأة وجدت صورتي في المرآة تنظر إليَّ وتبتسم ابتسامة مخيفة وتحمل سكينًا بيدها، وبدأت في شج جبهتها ويسيل الدماء منها، ابتعدت عن المرآة وأخذت أتحسس وجهي في رعب وفزع.

شهقت شهقة ونهضت من نومي فجأة، فوجدت فتحي عامل السيرك واقفًا أمامي ينظر إليَّ، ارتعدت عندما رأيته.

فتحي: قوم، فاضل ٥ دقائق على العرض، يلَّا علشان تحضره، أنت مالك؟ كنت بتحلم ولا إيه؟

أنا: حاضر، أنا جاي وراك.

فتحي: مالك يا بني؟ أنت خايف من حاجة؟

أنا: لا مافيش حاجة... مافيش حاجة.

فتحي: طيب اوعى تتأخر.

استدار فتحي مغادرًا الغرفة وهو يهمهم بكلمات غير مسموعة، كأنه يتهمني بالجنون، كنت أتصبب عرقًا وقلبي يكاد يخرج من صدري من سرعة ضرباته، رعشة تملكت من يدي، أخذت أنظر إلى تلك اللوحة المغطاة بالقماش الأبيض الموضوعة أمامي، نهضت من فراشي، وأخذت أرتب ملابسي وأصفف شعري بيدي، توجهت

خارجًا من الغرفة متجهًا إلى الكواليس لمشاهدة عرض ألعاب السيرك، كان عز يقدم عرضه، متمكنًا كعادته في تقديم ألعابه وفنونه السحرية، خفة يده وتمكنه وسيطرته على أوراق اللعب الكوتشينة، إخفاء الأشياء وتحويلها إلى أشياء أخرى، إلى أن تأتي أخطر فقرة في عروضه، والتي دائمًا يختتم بها العرض، يأتي بفتاة ويضعها في صندوق، ثم يغلق الصندوق عليها بالسلاسل والأقفال، ثم يغرس السيوف في كل مكان في الصندوق، ثم بعد ذلك يبدأ في نزع السيوف واحدًا تلو الآخر، ويقوم بفتح الأقفال وحل السلاسل ثم يفتح الصندوق وتخرج الفتاة كما هي كما دخلت ليبدأ الجمهور في التصفيق الحار وهو يشير بيديه في عزة وكبر وشموخ، كنت واقفًا أتخيَّل نفسي في ذلك المكان وفي ذلك الموقف، واقفًا بشموخ رافعًا يدي والجمهور يصفق لي بإعجاب شديد، انتهى العرض وبدأ الجمهور في المغادرة وأنا واقف في مكاني، تذكرت ذلك الصوت وحديثه معي، تذكرت تلك اللوحة المخيفة، بدأت أفكر في كيف

سأصبح أكبر وأشهر ساحرًا في العالم؟ ومن هذا الذي يحدثني؟ وكيف سأسلم له روحي؟ وما هذا العقد والعهد الذي يريدني أن أوقعه؟ كل تلك الأسئلة كانت تجول برأسي إلى أن أتى عز ويقترب مني بابتسامة.

عز: اتفرجت على العرض؟

أنا: طبعًا.

عز: إيه رأيك؟

أنا: عظيم جدًّا.

عز: أنا خلِّيتك تتفرج على العرض علشان تتعلم تقف ازاي قدام الجمهور وتتحرك ازاي وامتى، لأن ده أهم ما في العرض، أهم من الألعاب نفسها، لازم تكون واثق من نفسك وعندك شخصية على المسرح وقبول، فاهم يا علي؟

هززت رأسي بإيجاب وأنا شارد في أفكاري...

عدت ثانية إلى الغرفة بعد انتهاء عرض الليلة، جلست شاردًا غارقًا في الأفكار متسائلًا عن ذلك الكابوس الذي يراودني كل ليلة، أصبحت أخشى النوم، أسئلة محيرة تجول برأسي، غلبني النوم وأنا جالس في مكاني.

وجدتني واقفًا على مسرح كبير ممتلئ بالجمهور عن آخره، إضاءة حمراء خافتة تزين ذلك المسرح، كنت أرتدي بزة سوداء وقميص أسود وتعتلي رأسي قبعة سوداء، في خلفية المسرح مرآة كبيرة الحجم غريبة الشكل، نظرت إليها فإذا بذلك المهرج ذي الوجه المرعب والابتسامة الشيطانية، فجأة خرج دخان كثيف من خلف تلك المرآة ملأ أجواء المسرح، وإذا بكائن ضخم وسط ذلك الدخان تحيطه النيران من جميع الاتجاهات، صوت ضحكات مرعب يخرج من هذا الكائن، وبصوت تقشعر منه الأبدان...

الصوت: مش هتقدر تكمل من غيري يا علي.

صوت الضحكات المرعبة يدوي في المسرح، فجأة وقف الجمهور يصفق بحرارة والكائن يشير بيديه بغرور وكبرياء وهو يبتسم ويضحك، وجدت نفسي أرتفع.. أرتفع وأرتفع حتَّى وصلت إلى عنان السماء، وبدأت أتهاوى.. أتهاوى بسرعة رهيبة.. أصرخ صرخة مكتومة لا تخرج من حلقي، سوف أرتطم بالأرض، الأرض تقترب أكثر وأكثر بسرعة رهيبة... سوف أرتطم بالأرض...

استيقظت فجأة وأنا أشهق وألهث وكأنني أختنق، أخذت أسعل بشدة، أغرق في عرقي، ضربات قلبي تزداد سرعتها.

أخذت أتحسس جسدي ورأسي، بدأت أهدأ رويدًا رويدًا، كابوس رهيب هذه المرة.

أخذت أنظر حولي فوجدت تلك المرآة أمامي، نظرت في المرآة وأطلت النظر فيها فوجدت انعكاس صورتي، وجدتني أبتسم في المرآة، اقتربت من المرآة وأنا أنظر إليها بتمعن، اقتربت أكثر وما زالت صورتي تبتسم لي، ابتسامة

خبيثة مخيفة، اقتربت أكثر وأكثر، صرخت فيها بصوت عالٍ عصبيًا.

أنا: أنت مين؟ وإيه حكايتك؟ رد عليَّا وقول عايز مني إيه.

فجأة اهتزت المرآة واختفت صورتي منها، أصبحت سوداء، رجعت بضع خطوات إلى الوراء حتَّى سقطت على الأرض، فجأة خرج دخان منها يتخلله لون أحمر كأنه لهب نار كثيف، كنت أنظر إلى ذلك برعب وخوف شديد، حتَّى خرج من ذلك الدخان كائن ضخم يلتشح بالسواد ليس له أي ملامح، كدت أن أموت رعبًا من هول ذلك المنظر، حتَّى الدخان يتلاشى شيئًا فشيئًا، تحوَّل هذا المخلوق إلى رجل عادي، رجل حسن المنظر ذو نظرة حادة خبيثة، حاجبان كثيفان، شعر ناعم طويل أسود كالليل المظلم دون قمر، عينان سوداء، يرتدي بزة سوداء وقميص أسود، اقترب مني ببطء وهو ينظر إليَّ بتلك العينين المرعبتين، ابتسم ابتسامة خبيثة، دنا مني ينظر في عيني، وبنفس ذلك الصوت المرعب.

الرجل: مالك يا علي؟ خايف؟

أنا: أنت مين؟ (بصوت مرتعش).

الرجل: هتعرف كل حاجة في وقتها.

أنا: عايز مني إيه؟

الرجل: أنت اللي عايز يا علي.

صمت وعلى وجهي علامات الرعب، ظللت ثابتًا في مكاني لا أقدر على الحركة، وقف أمامي ناظرًا إليَّ، فجأة وجدت وجهه أمام وجهي مباشرة، فإذا يمر أمامي مشهد نقاشي مع أبي وأمي وأخي كأنه مشهد سينمائي، أراني أتحدث مع أبي في آخر لقائي به، أرى المشهد بكل تفاصيله حتَّى تركتهم وغادرت المنزل، أراني أسير في الشوارع حتَّى وصلت إلى تلك الحديقة، إنها تلك الشجرة الكثيفة الأغصان عريضة الجذع التي نمت تحتها، ولكن ما رأيته بعد ذلك كان غريبًا ومرعبًا، رأيتني نائمًا تحت الشجرة، وإذ فجأة ينشق جذع الشجرة ويخرج منه ضوء أحمر شديد، ويخرج من وسط ذلك الضوء كائن يشبه الإنسان

لكنه ليس بإنسان، يقترب مني وينظر إلى ثم يدور من حولي إلى أن يأتي فوق رأسي، يضع يده على رأسي، يظل هكذا واضعًا يده على رأسي إلى ما يقرب من العشر دقائق ثم يرفع يده وهو ينظر إليَّ ثم يتركني ويذهب حيث كان بداخل جزع الشجرة، يغلق جزع الشجرة ويختفي هذا المخلوق، حتَّى أستفيق من نومي وأنا أنظر حول نفسي وأشعر بالرعب مما رأيت في منامي.

كنت أشاهد كل هذا وأنا في صدمة ودهشة، لم أعي بعد ما الذي يحدث لي، لم أقدر على الكلام حتَّى اختفى ذلك المشهد من أمامي، استفقت من غفوتي هذه فوجدت ذلك الرجل جالسًا أمامي واضعًا قدمًا على الأخرى ينظر إليَّ بتلك الابتسامة الخبيثة.

الرجل: طبعًا بعد كل ده وكل اللي شوفته عايز تعرف أنا مين؟

نظرت إليه في دهشة ولم أستطع الكلام، حتَّى أكمل حديثه.

الرجل: أنا هاقولك أنا مين، بس قبل ما أقولك أنا مين لازم أقولك أنا عايز منك إيه وأنت عايز مني إيه.

أخذت أستمع إليه عسى أن أفهم وأعي ما أنا عليه الآن وهل هذا حقيقة أم خيال.

الرجل: أنا قولتلك أنا هخليك أشهر وأكبر ساحر في العالم، أغنى واحد في العالم، فلوس... شهرة... نفوذ... هتسافر العالم كله، أكبر الأبواب هتتفتح ليك وتحقق حلمك اللي أنت بتحلم بيه طول عمرك، هتكون أقوي شخصية، بس كل ده مش ببلاش طبعًا يا علي، في تمن هتدفعه، تمن بسيط جدًّا، تخيل يا علي، أنت شخص مشهور جدًّا، غني جدًّا، كل الناس هتعرفك من أكبر واحد لأصغر واحد، كل الناس بتعملك حساب، هتعمل عروضك في أكبر مسارح العالم، معاك حراس، أجمل بنات العالم في خدمتك، خدم بينفذوا كل طلباتك، الدنيا كلها في إيدك يا علي.

كنت جالسًا شاردًا حالمًا بكل ما قاله لي كالمسحور،

حتَّى استفقت فجأة.

أنا: وإيه التمن؟

الرجل: عقد وعهد.

أنا: عقد وعهد؟!

الرجل: هتوقَّع عقد بيني وبينك وعهد مدى الحياة.

أنا: عقد إيه وعهد إيه؟

الرجل: اتفاق بيني وبينك هتنفذه وفي المقابل هعملك كل ده.

أنا: فيه إيه العقد ده؟

الرجل: لو وافقت هتعرف كل حاجة، فكر كويس يا علي.

ساد صمتٌ فكنت أفكر في كلامه لي وأحلامي، توارد على فكري عائلتي وكيف تركتهم لكي أصبح غنيًّا مشهورًا.

أنا: وإذا وافقت؟

الرجل: الدنيا كلها ملكك يا علي.

أنا: بس أنا ماعنديش المقابل لكل ده.

الرجل: أنا اللي أحدد المقابل يا علي، أنا عارف عنك كل حاجة يا علي.

أنا: عايز أعرف المقابل إيه.

الرجل: المقابل إنك هتسلملي روحك وتبقي ملكي وتنفذ كل اللي أطلبه منك وده يبقي عهد بيني وبينك مدى الحياة، وفي المقابل هنفذلك كل اللي بتحلم بيه وأكتر.

أنا: أسلملك روحي ازاي؟ وابقى ملكك ازاي؟

الرجل: فكر كويس يا علي، فكر في حلمك ومستقبلك، فكر في الفلوس والشهرة والنفوذ.

أنا: وأنا إيه اللي يضمن لي إنك هتنفذ كل ده ومش هتغدر بيَّا؟

الرجل: ده عقد وعهد بيني وبينك يا علي فيه كل

الشـــروط والضـــمانات.. أنـــا هســـيبك دلـــوقتي تفكـــر وهرجعلك تاني.

أنا: أنت مَا قولتش أنت مين؟

الرجل: هتعرف كل حاجة في وقتها، بس قبل ما أسيبك هاقولك حاجة، أنا عمر ما حد رفض عرضي قبل كدة، لأن الرفض بالنسبالي موت.

فجأة اختفى الرجل من أمامي وتركني في حيرتي ودهشتي وأفكاري، من يكون هذا الرجل الخبيث؟ هذا ليس بإنسان ربما يكون جان أو شيطان، جلست على فراشي صامتًا شاردًا.. هل تشعر بما أشعر به الآن؟

دخل عليَّ عز فوجدني شاردًا في أفكاري، لم أشعر به وبوجوده جانبي.

عز: علي.. علي.. علي...

انتبهت إليه وهو يهزني في كتفي وينادي عليَّ، نظرت إليه دون كلام.

عز: علي؟ مالك يا بني؟

أنا: لا أبدًا بس تعبان شوية.

عز: تعبان؟ أجيبلك دكتور؟

أنا: لا، لا أنا هبقى كويس.

عز: طيب قوم يالَّا علشان عندي ليك مفاجأة.

أنا: مفاجأة؟ مفاجأة إيه؟

عز: أنت انهاردة هتطلع معايا على المسرح في العرض.

أنا: هطلع على المسرح؟ ازاي؟ أنا لسة بتعلم ومش مستعد.

عز: أنت هتطلع كمساعد ليَّا في العرض، في نفس الوقت تتعلم عن قرب وتاخد على جو المسرح وتكسر رهبة الجمهور.

ابتسمت فرحًا من تلك المفاجأة، نهضت سريعًا ونسيت ما كنت فيه منذ وقت قصير. وقفت أمام عز وصافحته وعانقته.

أنا: أنا مش عارف أشكرك ازاي على كل اللي بتعمله معايا؟

عز: لا يا علي، أنا حبيتك واعتبرتك أخويا الصغير، حبيت فيك طموحك وحماسك وحلمك وأخدت عهد على نفسي إني أساعدك، يالَّا يالَّا إجهز علشان نتدرب على الفقرات اللي هنقدمها في العرض انهاردة، اجهز وحصلني.

أنا: حاضر يا عز.

نظر إليَّ بابتسامة رقيقة ثم خرج من الغرفة وتركني في حيرة من أمري مضطرب المشاعر، سعيدًا فرحًا بتلك المفاجأة، خائفًا مرعوبًا من ذلك الكائن الغريب، ماذا سأفعل حيال ذلك؟ لا أعلم.

خرجت من الغرفة واتجهت إلى المسرح لأتدرب مع عز على فقرات العرض وكيف أقف على المسرح، وأخذنا نقوم ببعض الحركات والألعاب سويًّا وعز يوجهني كيف أقف وأين أقف على المسرح وهكذا، حتَّى حان وقت

العرض، بدأ الجمهور في التوافد على السيرك، بدأ العرض كالعادة بفقرة المهرج ثم ترويض الحيوانات وهكذا، كنت واقفًا خلف الكواليس إلى أن أتى عز وهو يحمل بعض الملابس، أعطاها لي وطلب مني أن أرتديها، ذهبت إلى غرفتي وارتديت الملابس ثم توجهت ثانيًا إلى المسرح، وقفت خلف الكواليس ونظرت باتجاه الجمهور.

كان يملأ المسرح، لا يوجد مكان لموضع قدم، ضربات قلبي يكاد صوتها يسمعها من بالسيرك كله، التوتر يسيطر عليَّ، فجأة وجدت من يضع يده على كتفي، إنه عز يطمئني.

عز: جاهز يا علي؟

أنا: جاهز.

دخل فتحي عامل السيرك إلى ساحة المسرح يحمل مكبر الصوت...

فتحي: الآن سيداتي سادتي.. أعزائي الأطفال.. حان الآن موعد العرض المنتظر، العرض الرهيب اللي كل

الناس بتحبه وتستناه... عرض هيحبس الأنفاس.. عرض اللعب بالنار.. الآن مع عرض الساحر عز.

تصفيق حار من الجمهور، صفير وضجيج، دخل عز رافعًا يده تحية للجمهور، بدأ عز في تقديم فقراته... دخلت في الوقت المتفق عليه ووقفت كما علمني عز.. بدأ عز بالألعاب الإعتيادية من ألعاب الأوراق (الكوتشينة) ثم لعبة المناديل الملونة، كنت أساعده على المسرح ومعي فتاتان جميلتان يقمن بحركات على المسرح لجذب انتباه الجمهور، حتَّى حان وقت الفقرة الرئيسية في العرض، والفقرة الأخطر، كانت عبارة عن وضع فتاة في صندوق خشبي وإشعال النار في الصندوق ثم بعد ذلك تخرج الفتاة من الصندوق ولم يصبها أي شيء، بدأت في تحضير ذلك الصندوق، وبدأت الفتاة في دخول الصندوق، عز يدخل الفتاة ثم يقوم بغلق الصندوق بأقفال وسلاسل حديدية، بدأ يشير إلى الجمهور والجمهور يحبس أنفاسه لرؤية هذه الفقرة، كانت هناك شعلة نار معلقة على الطاولة، أخذت الشعلة وأعطيتها لعز، بدأ عز يلوح

بشعلة النار في أسلوب استعراضي والفتاة داخل الصندوق، وضع عز شعلة النار على الصندوق، اشتعلت النيران بالصندوق بسرعة فائقة، فجأة حدث شيء غريب ومرعب، وقعت الشعلة من يد عز على الأرض، فجأة انتشرت النيران في كل أرجاء المكان، كيف حدث هذا لا نعلم، بسرعة البرق وجدت المسرح كله يشتعل، والفتاة داخل الصندوق المشتعل، ساد الهرج والمرج، الكل يجري بعشوائية، الناس تقع فوق بعضها البعض، النيران تنتشر في كل مكان، كنت واقفًا مكاني لا أدري ماذا أفعل حتَّى وجدت عز وقد اشتعلت فيه النيران، جريت عليه وحاولت إطفائه لكن دون جدوى، سقط على الأرض وهو يحترق، المكان كله يحترق، الحيوانات تحترق، جميع العاملين بالسيرك منهم من هرب ومنهم من طالته النيران، عم فتحي يموت محترقًا أمامي مثل عز، المشهد كأنه يوم القيامة، السيرك أصبح كالجحيم، أسرعت خارجًا من السيرك لا أدري كيف وإلى أين، سوى أنني وجدت نفسي واقفًا في الشارع خارج السيرك أنظر إلى

النيران وهي تلتهم السيرك بأكمله، زحام شديد من الناس، منهم من يهرب من الجحيم ومنهم من يقف متفرجًا علي ذلك المشهد الرهيب، أتت سيارات الإطفاء سريعًا ولكن بعد فوات الأوان، لقد انتهي كل شيء، السيرك أصبح كتلة نار، وعز مات محترقًا، لم أشعر إلا ودموعي تجري على وجنتي، الآن أصبحت وحيدًا مرة أخرى، لا أدري إلى أين أذهب؟ لقد ضاع كل شيء وانتهى! السيرك تفحم من النيران، عز مات محترقًا، ملابسي ومتعلقاتي أكلتها النيران، الآن وقد ضاع كل شيء، ابتعدت من المكان، أخذت أسير في الشوارع لا أدري إلى أين أذهب، وجدتني ذاهبًا إلى بيتي، إلى عائلتي، دخلت المنزل وكنت قد أرهقت من السير طويلًا، دخلت فوجدت أمي جالسة ملتشحة بالسواد، كانت جالسة تبكي، وجدت أخي عبد الله جالسًا أمامها وقد ارتسم الحزن على وجهه ولكن أين أبي فأنا لا أراه، عندما رآني وقفا ينظران إليَّ، كانا ينظران إليَّ بحزن وأسى، أسرع أخي عبد الله إليَّ وأمسكني من تلابيبي يهزني بشدة.

عبد الله: أنت إيه اللي جابك؟ امشي اطلع برة.

كنت أنظر إليه بصدمة كبيرة مما يفعله، لقد كان يصرخ في وجهي بشدة لا أدري لماذا، وأمي واقفة تنظر إليَّ وتبكي.

أمي: جيت ليه يا علي؟ جاي بعد إيه؟

أنا في صدمة مما يفعلانه ويقولانه: بابا فين؟

عبد الله: أبوك مات يا علي، مات بسببك.

نزلت دموعي تجري، بابا فين يا عبد الله؟

عبد الله: أبوك مات يا علي.

أمي: أبوك مات بحسرته عليك، أنت السبب، أنت السبب.

انهارت أمي من البكاء، الصدمة تكاد تقتلني، أخذت أبكي كالمجنون، وجدت أخي عبد الله يشدني من يدي ويدفعني خارج المنزل.

عبد الله: اطلع برة، مش عايزين نشوف وشك هنا تاني، فاهم، امشي يا علي امشي.

وقفت مصدومًا لا أقدر على الكلام ولا أقدر على الرد على أخي، استدرت وخرجت من المنزل وقلبي يكاد ينفجر من الحزن على أبي، خرجت إلى الشارع وأنا أبكي على موت أبي، وأبكي من فعل أخي وأمي معي، لقد مات أبي بسببي، لقد غضبت عليَّ أمي.

أردت الموت في تلك اللحظة، أخذت أسير في الشوارع لا أدري إلى أين أذهب، الحزن يعتصر قلبي على موت عز واحتراق السيرك وتلك الفاجعة من موت أبي، لا أدري أين أنا، ماذا أفعل الآن وأين أذهب، لا أملك أي شيء، لا مال ولا طعام ولا أي شيء، وجدتني واقفًا أمام تلك الحديقة ثانية، إنها نفس الحديقة التي قضيت بها أول ليلة لي بعدما تركت المنزل، التعب قد حل بي، إرهاق وحزن وجوع، ذهبت إلى ذلك المطعم ثانية ولكن تلك المرة لم أكن أمتلك مالًا لأشتري طعامًا، وقفت أمام المطعم

أنظر إلى الطعام في حزن وأسي، حتَّى وجدت عامل المطعم يأتي إلى ببعض الطعام ويعطيه إليَّ، نظرت إليه بحزن.

أنا: أنا مش معايا فلوس.

عامل المطعم: لا ده من غير فلوس، أنت شكلك تعبان وجعان، خد الأكل وأنا مش عايز فلوس.

نظرت إليه والدموع تملأ عيني، أخذت منه الطعام، نظر إليَّ بابتسامة شفقة وتركني وذهب، أخذت الطعام وذهبت إلى الحديقة، تسلقت صور الحديقة وذهبت إلى نفس الشجرة ذات الأغصان والفروع الكثيفة، جلست تحتها وأخذت أتناول الطعام، بعدما تناولت طعامي جلست أفكر في كل تلك الأحداث التي حدثت لي وكل تلك المصائب التي حلت بي من احتراق السيرك وموت عز وأخيرًا موت أبي وكيف طردني أخي من المنزل وغضب أمي عليَّ، التعب والحزن يكادا يقتلاني، غلبني النوم مكاني تحت الشجرة من التعب، وكأنني قد أغشي عليَّ.

فجأة وجدتني واقفًا أمام تلك الشجرة أنظر إليها، فتح جزع الشجرة فإذا بضوء أحمر شديد متوهج يكاد يعمي عيني، دخان كثيف يخرج بين الضوء، وجدتني أسير باتجاه الضوء والدخان، دخلت فوجدت نفسي داخل كهف غريب، كهف معلق على حوائطه شعل من نار تضيء الكهف إضاءة خافتة، أخذت ألتفت حول نفسي أبحث عن مخرج من هذا الكهف لكني لم أجد شيئًا وكأنه أغلق عليَّ، أخذت أبحث في كل أركان هذا الكهف، الحرارة تزداد أكاد أختنق والعرق يتصبب مني، فجأة أهتز الكهف بشدة وكأنه زلزال شديد، سقطت على الأرض فوجدت نفسي وسط مكان مظلم ظلام كاحل، هناك ضوء يظهر من بعيد.

نهضت وأخذت أسير باتجاه ذلك الضوء، الضوء يبتعد أكثر فأكثر إلى أن وصلت إليه، لا أعلم كيف ولكني وصلت فوجدت تحت الضوء كرسي كبير عظيم يبدو مثل كراسي الملوك القدامى، نعم أنه عرش عظيم ولكنه غريب، عرش يبدو أنه صنع من عظام وجماجم بشرية،

وعلـى يديـه جمـاجم غريبـة الشـكل وكأنهـا رؤوس الشياطين، اقتربت أكثر من ذلك العرش حتَّى رأيت ذلك الكائن جالسًا عليه، كائن ضخم بحجم ذلك العرش، كائن يلتشح بالسواد كليًّا لا يظهر وجهه أو يده أو أي شيء منه، فقط عيناه تظهر بالكاد، عينان حمراوتان مثل اللهب، مشهد مرعب تنخلع منه القلوب، وبصوت عظيم مرعب يهز أرجاء المكان، صوت اهتزت له أواصلي.

الصوت: طبعًا أنت مستغرب أنت فين.

أنا (بصوت مرتعش): أنت مين؟ أنا فين؟

الصوت: أنا أمير النور، أنا المخلص، محقق الأماني.

أنا: يعني إيه؟ أنا مش فاهم حاجة.

الصوت: أنت في حضرة أعظم عرش في الوجود، عرش أقدم مخلوق على وجه الأرض.

أنا: أنا عايز أخرج من هنا.

هممت بالهرب من هذا المكان ولكن وجدت نفسي مقيدًا لا أستطيع الحركة، وجدت نفسي أتحرك لا إراديًّا مقتربًا من هذا العرش وهذا الكائن الأسود كأن شيئًا يحملني، وجدتني أرتفع أمام هذا الكائن فإذا به يزيح الوشاح الأسود عن وجهه ليظهر هذا الوجه المرعب، جمجمة مرعبة حمراء يخرج من فمها ومن عينها نارًا أغمضت عيني عن ذلك المنظر المخيف، ثم فتحت عيني فإذا بوجهه تحول إلى وجه ذلك المهرج ذي الابتسامة الخبيثة الذي كان في المرآة سابقًا.

أنا: أنت مين؟

الكائن: أنا قولتلك أنا مين.

أنا: عايز مني إيه؟

الكائن: أنت دلوقتي وحيد، مطرود من الدنيا كلها، مشرد بلا مأوي ولا مكان تعيش فيه، مستقبل مظلم، لكن قدامك فرصة ذهبية تختار المجد والفلوس والشهرة والنفوذ، فرصة تبعد عن الجوع والتشرد وتبين للعالم

كله إنك كنت صح لما اخترت تهرب وتكون نفسك، وتحقق طموحك.

أنا: طيب ازاي هعمل كدة؟

الكائن: هتوقع على عقد بيني وبينك تسلملي روحك ونفسك وأحقق لك كل ده، ويكون عهد ما بينا كل واحد فينا ملتزم بيه وبشروطه.

ساد صمت وكنت أفكر وأتذكر كل ما مررت به وما أصبحت عليه الآن، هذا عرض سخي لا يرفض فلن أخسر أكثر مما خسرت، لقد أصبحت مشردًا بلا منزل ولا مال، الجوع يكاد يقتلني، تذكرت فشلي في الجامعة وعدم قبولي كمعيد بالكلية، تذكرت أبي وأسرتي وحالها الفقير، تذكرت عز واحتراق السيرك وطرد أخي لي من المنزل، حالي الذي يرثى له، تحدثت بصوت حاسم.

أنا: أنا موافق.

الكائن: اختيار صائب يا علي، هنوقع العقد دلوقتي.

وجدتني أنزل على الأرض رويدًا رويدًا وظهرت أمامي

طاولة عليها لفافة ورق كبيرة وفي نهايتها كلمة التوقيع، وريشة موضوعة في زجاجة تبدو كزجاجة حبر،

الكائن: وقَّع يا علي على العقد.

أمسكت تلك الريشة وغمستها في زجاجة الحبر، كان حبرًا أحمر، وقعت على العقد باسمي ثم وضعت الريشة داخل زجاجة الحبر ونظرت إلى الكائن.

الكائن: اختم كمان يا علي.

أنا: أختم ازاي؟

الكائن: امسك السكين دي واجرح صباعك وابصم على العقد بدمك.

نظرت إلى الطاولة فوجدت السكين عليها، أمسكت السكين وعلى مضض جرحت إصبعي وأنا أتألم ثم بصمت بدمي بجوار توقيعي على العقد.

الكائن: أحسنت يا علي، دلوقتي أقدر أقولك مبروك، لكن في حاجة لازم تعرفها.

أنا: حاجة إيه؟

الكائن: في شرط جزائي في العقد.

أنا: شرط جزائي؟ أنا ماعنديش أي فلوس أدفعها كشرط جزائي.

الكائن: الشرط الجزائي مش فلوس، الشرط الجزائي هو إنك لو أخليت بأي شرط من شروط العقد هتشوف عذاب عمرك ما شوفته في حياتك.

أنا: هخل ليه بشروط العقد طالما هتحقق لي كل اللي بحلم بيه.

الكائن: كدة اتفقنا خلاص يا علي، دلوقتي نقدر نبدأ وتبدأ حياة جديدة، هتكون أشهر وأكبر ساحر في العالم، هتكون أغنى واحد في الدنيا ذو نفوذ واسع، الأبواب كلها هتتفتح لك يا علي، حياة جديدة في انتظارك.

فجأة اختفى الكائن من أمامي وساد الظلام في المكان، اهتز المكان ثانية هزة شديدة. سقطت على الأرض.

استيقظت فجأة وأنا أشهق شهقة كأنني أموت، العرق يتصبب مني، وجدت نفسي تحت الشجرة في نفس المكان الذي نمت فيه، شعرت بألم خفيف بإصبعي فنظرت فيه وجدت جرح بسيط به وقد تجلط الدم به مما أثار دهشتي ورعبي، هل كان هذا حلمًا أم حقيقة؟

أخذت أتحسس جسدي ورأسي وفجأة وجدت أمامي رجل كهل عجوز ينظر إلى ويبتسم، كانت نظرته مرعبة وابتسامته مخيفة.

أنا: أنت مين؟

لم ينطق ذلك العجوز بكلمة واحدة فقط ينظر إليَّ ويبتسم، قلبي يخفق بشدة رعبًا من منظر ذلك العجوز حتَّى كررتها ثانية.

أنا: أنت مين؟ رد عليَّا.

رأيت ذلك العجوز وقد تحول إلى شاب وسيم في ملابس أنيقة مصفف الشعر، كان يرتدي بزة سوداء وقميص أسود، عيناه خضراواتان ولكنها مشقوقة

وتشبه عيون القطط، كدت أن يغشي عليَّ مما أرى أمامي ومن شدة الرعب، وهو يقف أمامي ينظر إليَّ بعينيه تلك ويبتسم، حتَّى أمسك يدي فوجدت نفسي في مكان آخر، كان قصرًا كبيرًا يشبه تلك القصور القديمة التاريخية، أخذت ألتفت حول نفسي وأنا واقف في ساحة ذلك القصر الكبير، قاعة شاسعة أضواءها حمراء خافتة معلق على الحوائط رؤوس حيوانات محنطة ولوحات بها صور كأنها شياطين، أخذت ألتفت حولي متفقدًا ذلك القصر المهيب حتَّى دب صوت هز أرجاء القصر، صوت غليظ مرعب.

الصوت: يا علي، انهاردة بدأ تنفيذ العقد والعهد اللي ما بينا.

حتى ظهر أمامي فجأة ذلك الرجل الوسيم ذو الهيبة مرتديًا بزته السوداء، كان جالسًا على كرسي في وسط قاعة القصر ممسكًا عصاه ينظر إليَّ وهو يبتسم.

الرجل: هتبدأ تتعلم من انهاردة يا علي، هتتعلم السحر، السحر بجد مش خفة اليد والخرع اللي ضحك

عليك بيها عز، مستعد يا علي؟

أنا: مستعد وجاهز.

الرجل: تمام يا علي، بس في حاجة لازم تعرفها قبل ما نبدأ.

أنا: إيه هي؟

الرجل: أنا هطلب منك تسلملي روح ناس معينة ولازم تنفذ ده.

أنا: أنفذ ده ازاي؟ وازاي أسلملك روحهم؟

الرجل: هتقتلهم يا علي.

أنا: أنت اتجننت؟! أنا أقتل؟! مستحيل.

الرجل: ماتنساش أنك وقعت على العقد وفي بينا عهد يا علي.

أنا: احنا ما اتفقناش على كدة، أنا هسلملك روحي في مقابل إنك هتساعدني وهو ده اتفاقنا.

الرجل (بصوت خبيث): واضح يا علي إنك ما

قرأتش العقد كويس.

فجأة ظهرت أمامي لفافة من ورق تشبه العقد الذي وقعت عليه، فتحت اللفافة أمامي على بند مكتوب بلغة غريبة لم أستطع قراءتها، نظرت إليها فتحولت إلى اللغة العربية كان مكتوب بها..

على الطرف الثاني تسليم الطرف الأول روح إنسانية واحدة على الأقل شهريًّا وتكون هذه الروح من اختيار الطرف الأول، والطرف الأول عليه اختيار طريقة قتلها وعلى الطرف الثاني تنفيذ ذلك وإذا لم يفعل فلقد أخل بالعقد.

صمت وسكنت مكاني من الصدمة، فنظرت إليه دون كلام فوقف ينظر إليَّ بابتسامته الخبيثة وهو يهز كتفيه.

الرجل: ده بند من بنود العقد يا علي، وأنت الطرف الثاني وأنا الطرف الأول ولازم تنفذ.

جلست على الكرسي من الصدمة ولم أستطع الوقوف، لم تعد قدمي تتحملني، ما الذي فعلته؟ هل أصبح قاتلًا حتَّى أكون غنيًّا ومشهورًا؟

الرجل: بلاش تندم يا علي، أنت بدأت حياة جديدة أنسى أي حاجة عرفتها واتعلمتها قبل كدة، مافيش حاجة اسمها مبادئ ولا أخلاق، الكل علشان يوصل بيدوس على الكل، وأنت خلاص وافقت ووقعت ومش هينفع ترجع تاني، ولو فكرت ترجع هتشوف مني عذاب عمرك ما شوفته، ها، نبدأ؟

نظرت إليه بصدمة من حديثه هذا ثم نظرت إلى الأرض دون حديث، لم أعرف ماذا أقول، حتَّى انفجرت في وجهه بصوت عالٍ.

أنا: أنت إيه؟ شيطان؟

ضحك ضحكة شيطانية خبيثة، فجأة تحول إلى كائن ضخم أسود مرعب، تحول القصر إلى مكان كأنه الجحيم تحيطه النيران من كل جانب، وبصوت مرعب تنخلع منه القلوب.

الكائن: فعلًا يا علي، أنا الشيطان، أنا أمير النور، أقدر أدمرك لو مانفذتش أوامري، أنت خلاص بعتلي روحك وده العهد اللي بينا يعني أنت أصبحت ملكي وعبدي،

اركع يا علي، اركع.

بلا إرادة منِّي وجدتني أركع أمامه محني الرأس وأقول له..

أنا: أمرك مُطَاع سيدي، أنا عبدك وملكك سيدي أمير النور.

تحول الجحيم إلى القصر مرة أخرى، وعاد الشيطان إلى هيئته الجميلة مرة أخرى جالسًا على الكرسي ببزته السوداء واضعًا قدمًا على الأخرى حاملًا عصاه.

الشيطان: دلوقتي نقدر نبدأ.

أنا: أنا جاهز ومستعد.

كانت هناك مرآة كبيرة معلقة على الحائط فأشار إليَّ بأن أذهب إليها، فذهبت ووقفت أنظر إليها فإذا بصورتي قد تحولت إلى ذلك المهرج ذي الابتسامة الخبيثة المرعبة مرتديًا بزة سوداء وقبعة سوداء.

الشيطان: من انهاردة هتظهر للناس بالمظهر ده، وهتغيَّر اسمك، هيكون اسمك زين، الساحر زين، انسَ

علي خلاص.

بدأ الشيطان في تعليمي السحر عن طريق طقوس شيطانية ورموز غريبة، علِّمنِي كيف أخفي الأشياء وكيف أطير في الهواء وكل تلك الأشياء التي كنت أشاهدها ولم أكن أعلم أسرارها، علِّمني كيف أخترق الجدران الخرسانية وكيف أدخل في وسط النيران وأخرج منها ولم يصبني منها أذى، كيف أسير على الماء.

وفي يوم وليلة أصبحت مشهورًا في جميع أرجاء العالم، أقيم عروضًا على أكبر مسارح العالم، سافرت عدة دول لتقديم عروضي الرائعة والمشوقة، أقدم عروضًا بالشوارع في جميع أنحاء العالم، أصبحت ذا نفوذ واسع، صادقت جميع الطبقات الراقية والأوساط الغنية في كل مكان بالعالم، حتَّى عندما يذكر اسمي تفتح جميع الأبواب، أصدقائي من النبلاء وكبار السياسيين ورجال المال والأعمال حول العالم.

أسكن أفخر القصور وأفخمها أصبح رصيدي في البنوك بالمليارات من جميع العملات، أحببت حياتي تلك، فهذا ما

كنت أحلم به وأتمناه بالفعل، حتَّى ذلك اليوم الذي أتى فيه الشيطان إلى في صورته الجميلة المهيبة.

الشيطان: جاهز يا زين؟

أنا: جاهز لإيه بالظبط؟

الشيطان: الروح الأولى يا زين، أنت نسيت؟

صمت هنيهة، بالفعل لقد نسيت ذلك البند من العقد، فلقد اندمجت في حياتي الجديدة ونسيت ذلك البند.

أنا: أنا فعلًا نسيت، بس أنا بجد مش هقدر أقتل.

الشيطان: طبعًا مش محتاج أفكرك بالشرط الجزائي لو أخليت بالعقد، وكمان أنت دلوقتي في وضع تاني ومكانة تانية ومش هترضى أن كل ده يضيع وترجع لحياتك القديمة تاني.

صمت قليلًا أفكر.

أنا: مين هو الشخص ده؟

الشيطان: هتعرف كل حاجة في وقتها بس لازم تكون مستعد.

الضحية الأولى..

قاسم الجندي، رجل أعمال في العقد الخامس من عمره، رجل سياسي وثري ومن أكبر رجال المال والأعمال، كان محبوبًا من الناس بسبب أنه كان كثير أعمال الخير وكثير التبرعات لدور رعاية الأيتام وكبيري السن، كما أنه كان يتكفل بكثير من الأسر الفقيرة، هذا هو ضحيتنا الأولى، لماذا هو؟ لا أعلم، ولكنني لا أملك من أمري شيئا، كان هذا هو أمر الشيطان، أخذت أتقرب من قاسم الجندي حتَّى أصبحت هناك صداقة قوية بيني وبينه، كنت أتقرب منه بحجة تقديمي بعض التبرعات ومشاركته في كفالة الأسر الفقيرة حتَّى أعجب بي وأخذ يساعدني في ذلك إلى أن أصبحنا صديقين مقربين، وعندما حان الوقت للتضحية به كانت خطتي مع الشيطان كالتالي.

أقمت حفل كبير في قصري ودعيت الكثير من رجال المال والأعمال والسياسيين والفنانين والكثير من عالية القوم، وكان من بين المدعوين هذا الرجل، قاسم الجندي

كنت أعامله كضيف شرف للحفل، الكل سعيد يضحكون ويشربون ويتمايلون مع الموسيقي التي تملأ المكان، راقصات وفتيات حسناوات يشعلن الحفل حماسة، لكن في الحقيقة هؤلاء الفتيات كن أتباع الشيطان، كنت أستعد للحفل استعدادًا خاصًّا.

فجأة انطفأ النور وأضاء نور أبيض شديد مسلطًا أعلى السلم في قاعة القصر جذب انتباه الحضور جميعًا، الكل نظر إليَّ أعلى حتَّى ظهرت أنا، الساحر زين، كنت مختالًا رافعًا يدي تحية لجميع الحضور مرتديًا بزتي السوداء، كانت الفتيات يقفن على السلم استقبالًا لي، أخذت أنزل السلم متبخترًا بين الفتيات وسط تصفيق حار من الجميع، الكل كان منبهرًا بالساحر زين، ذلك الساحر الذي جاب العالم أجمع بعروضه السحرية

المدهشة والمثيرة، نزلت إلى قاعة القصر وأخذت أرحب بالجميع، أصافح هذا وابتسم لهذا وأشير لهذا، يا له من مجتمع منافق، حتَّى توجهت إلى قاسم، كان واقفًا معجبًا منبهرًا بي ينظر إليَّ بابتسامة، ذهبت إليه وصافحته بحرارة وعانقته ضاحكًا.

أنا: قاسم بك، منوَّر الحفلة.

قاسم: الحفلة منورة بوجود ساحرنا العظيم.

أنا: أنا اتشرَّفت بوجودك في قصري المتواضع يا قاسم بك.

قاسم: قصر جميل فعلًا يا زين، ذوقك في الديكور ممتاز.

أنا: ده شرف كبير ليَّا الكلام ده من شخصية عظيمة زيَّك.

قاسم: لا يا زين أنا مش عظيم ولا حاجة، وفعلًا ذوقك حلو جدًّا في ديكورات القصر.

أنا: مش عظيم ازاي يا قاسم بك، أنت أعمالك كلها عظيمة، كفاية تبرعاتك وأعمالك الخيرية.

قاسم: يا زين أنا مجرد سبب استخدمني ربنا وسخرني لمساعدة الناس دي علشان دول ليهم حق عندنا.

أنا: تواضع عظيم من رجل عظيم غني عن التعريف.

قاسم: أشكرك يا زين.

أنا: أنا كنت عايز حضرتك تساعدني.

قاسم: أساعدك؟ طبعًا يا زين، بس أساعدك ازاي؟

أنا: أنا عايز أشاركك في أعمال الخير، كنت عايز أتبرَّع بمبلغ متواضع بس مش عارف أتبرَّع لمين وازاي.

قاسم: طبعًا يا زين أنا تحت أمرك.

أنا: طيَّب ممكن حضرتك تشرفني بكرة وتشرب معايا فنجان قهوة؟

قاسم: ده شرف ليَّا بس ما اعتقدش هاقدر أجي بكرة.. عندي شغل ومواعيد كتير، ممكن بعد بكرة أو في يوم تاني يناسبك.

أنا: خلاص اتفقنا يبقى بعد بكرة تشرفني في القصر ونتكلم مع بعض.

قاسم: وهو كذلك، اتفقنا.

نظرت إليه بابتسامة خبيثة ثم تركته وذهبت لأرحب بالحضور، إلى أن حان الوقت. ذهبت ووقفت في منتصف القاعة وأشرت بيدي فتوقفت الموسيقى وجذبت انتباه الجميع، صمت الجميع وهم ينظرون إليَّ منتظرين حديثي.

أنا: أصدقائي وضيوفي الأعزاء، أنا بشكركم جدا على حضوركم وتشريفكم وتلبية دعوتي لحفلي المتواضع، أولًا أنا فخور وسعيد جدًّا بصداقتكم ومعرفتكم جميعًا، ثانيًا وبمناسبة التجمع الجميل ده أنا انهاردة هاعمل عرض سحري مخصوص ليكم. عرض أول مرة هقدمه،

وده شرف ليَّا إن أنتم تكونوا أول ناس تشاهد العرض ده مباشرة أتمنَّى إنه يعجبكم.

هلل الجميع وصفقوا بحرارة متشوقين لهذا العرض، فنادرًا ما تشاهد عرضًا مباشرًا للساحر زين، ذلك الساحر الذي أبهر العالم أجمع بعروضه الشيقة والمثيرة.

وقف الجميع منتظرين بشغف متشوقين لرؤية هذا العرض، انطفأ نور القاعة وحل الظلام في أنحاء المكان، ثم أضاء نور كشاف مسلط على مجموعة من الفتيات الحسناوات بلباسهن القصير المثير يقفن بجوار جهاز كبير الحجم غريب الشكل، وكنت قد اختفيت من أمام الجميع حتَّى ظهرت من خلف هذا الجهاز، أنا زين بزيي الأسود الكامل وقبعتي السوداء ولكن بوجه غير الوجه الذي كنت عليه، كنت بذلك الوجه المخيف، وجه المهرج ذو الابتسامة الخبيثة الشيطانية، بدأت في الحديث شارحًا العرض.

أنا: الآن سيداتي سادتي، أصدقائي الأعزاء، زي ما قولت لكم العرض ده أول مرة هاعمله انهاردة مخصوص ليكم، العرض هو إني هختار واحد منكم يشترك معايا في العرض، واحد هيدخل الجهاز ده وهيتم نشره لثلاثة أجزاء وبعدين هعيد جسمه تاني كأن شيئًا لم يكن، ها مين يحب يتطوَّع ويشاركني العرض؟

صمت الجميع وأخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض، مندهشين متخوفين من كلامي هذا ومن العرض، أخذت أشير بينهم كأنني أبحث عمَّن يشاركني العرض وكأنني أختار بينهم حتَّى ذهبت إلى قاسم الجندي، أخذت أدور حوله في صمت حتَّى وضعت يدي على كتفيه.

أنا: خلاص يا جماعة أنا اخترت قاسم بك علشان يشاركني في العرض.

همست في أذنه.

أنا: ماتخافش يا قاسم بك، دي خدعة مافيش حاجة اسمها سحر، كلها خدع وخفة يد.

ثـم ابتسـمت ابتسـامة خبيثـة وأنـا أنظـر في عينيـه، أحسسـت الخـوف والقلـق عليـه، حـتى أتـت فتاتـان وأمسـكتا بيـد قاسـم وسـاقاه إلى هـذا الجهاز، أدخلنـه إلى الجهـاز، كانـت بجانبـه فتـاة تدخلـه الجهـاز، أخـذت تنظـر إليـه بإثـارة وتبتسـم لـه وتتحسـس جسـده وتعـض على شـفتيها، نظـر إليهـا وهـو يبتسـم مرتبكًـا يتصـبب عرقًـا متوترًا، همسـت في أذنه.

الفتـاة: ماتخـافش دي حاجـة سـهلة جـدًّا، وأنـا مستنياك بعد العرض.

سحرته بصوتها الجميل المثير ثم تركته داخل الجهاز وذهبت وهي تنظر إليه وتبتسـم ابتسـامة مثيرة، أخـذت الفتيـات يغلقـن الجهـاز على قاسـم وهـو ينظـر إليَّ بقلق وتوتر، بدأ صوت الموسيقى المشوق يعلو في القاعـة والكل ينظر صامتًا في ترقب لمشاهدة هذا العـرض المثير، بـدأت بفعل الحركات الاستعراضية أمام الجهاز.

كان الجهاز منقسمًا إلى ثلاثة أجزاء فوق بعضها البعض، ويظهر ككتلة واحدة لها فاصلان ذو وجهة زجاجية ليظهر من بداخل هذا الجهاز، أحضرت منشارًا كهربائيًّا، أدرته وأخذت ألوح به أمام جميع الحضور، كان صوت الموسيقى يطغى على صوت المنشار، الكل يشاهد في ترقب وتوتر وشوق لمشاهدة ماذا سأفعل.

بدأت بالجزء السفلي وهو وسط جسد قاسم فوق فخذيه، أدخلت المنشار من الفاصل الأول السفلي، أخذت أنشر جسد قاسم من أسفل، كان يصرخ من الألم ولكن الزجاج كان حائلًا دون سماع صوته فلقد كان مانعًا للصوت، الدم يسيل على الزجاج، الكل ينظر في صدمة وتوتر واشمئزاز من مشهد الدم، ثم رفعت المنشار مرة أخرى وبدأت في نشر الجزء العلوي من جسد قاسم فوق صدره من رقبته، سال الدم وأغرق الجهاز.

كانت عيناه مفتوحتين وفمه مفتوح وهو يصرخ من الألم، كانت صرخة مدوية سمعتها رغم ذلك الزجاج

الكاتم للصوت، أخذت أقوم بحركاتي الاستعراضية أمام الجميع، الجميع يقف ما بين مرعوب ومتوتر وما بين متشوق وفرح بحضور عرض كهذا، أتت الفتيات بستارة سوداء كبيرة وقمن بتغطية الجهاز كليًّا ثم انطفأ النور فجأة وحل الظلام، الكل يهمهم بصوت خافت، أضيئت الأنوار مرة أخرى وكان الجهاز مغطيًا بالستارة السوداء، أخذت أدور حول الجهاز بحركات استعراضية، ثم أزحت الستارة مرة واحدة فظهر الجهاز خاليًا وقاسم لا يوجد به ولا توجد أي آثار للدم الذي سال على الزجاج، علت الهمهمات في القاعة متسائلين عن قاسم وأين ذهب وماذا حدث له؟

أنا: طبعًا كلكم دلوقتي بتسألوا هو قاسم بك راح فين؟ ويا ترى هو عايش ولا...

أخذ الجميع يضحك من كلامي هذا.

أنا: عايزين تعرفوا قاسم راح فين؟ بصوا كدة في آخر القاعة.

فجأة أضاء كشافًا شديد الإضاءة خلف الجميع، فإذا بقاسم يقف بينهم سليمًا كأنه لم يحدث له شيء، نظر إليه الجميع وبدأوا في التهليل والتصفيق بحرارة إعجابًا بذلك.

أخذ قاسم ينظر إلى الجميع بدهشة وهو يتحسس جسده، وبدأ يبتسم ويضحك للجميع والجميع يصفق ويهلل ويربط على كتفي قاسم، كنت أقف في المنتصف رافعًا يدي بكبرياء وإعجابًا بنفسي وسط تصفيق وتهليل من الحضور، حتَّى إن بعض الحضور ذهبوا يتحسسوا جسد قاسم ليتأكدوا من سلامته، كان قاسم ينظر إليهم مبتسمًا وينظر إليَّ وأنا أبتسم إليه ونتبادل الابتسامات فيما بيننا، انتهى الحفل وبدأ الجميع في المغادرة، كنت واقفًا على باب القصر مودعًا الجميع، منهم من كان معجبًا بالحفل وبالأجواء عامة، ومنهم من أبدى إعجابه بالعرض الذي قمت به، والجميع تمنَّى تكرار ذلك مرة أخرى، انصرف الجميع وكان معهم قاسم الجندي، غادر مع الجميع.

انصرف الجميع، أغلقت باب القصر وتوجهت إلى غرفة بجانب القاعة، دخلت وأغلقت الباب، نظرت أمامي مبتسمًا.

أنا: إيه رأيك في العرض؟

كان واقفا أمامي ينظر إليَّ مبتسمًا، نعم إنه هو، قاسم الجندي.

قاسم: كنت رائع يا زين كالعادة.

أنا: الراجل كان مرعوب وهو بيصرخ في الجهاز، قولي أنت عملت فيه إيه؟

فجأة تحول قاسم إلى الرجل الوسيم ذي الهيبة، إنه هو، الشيطان، لقد كان متجسدًا في شكل قاسم الجندي.

الشيطان: خلاص يا زين، أنا ملكت روحه.

أنا: في سؤال محيرني.

الشيطان: إيه هو؟

أنا: ليه ده بالأخص؟

الشيطان: بعدين يا زين، هتعرف كل حاجة في وقتها، أنت عليك تنفذ اللي أقولك عليه وبس، فاهم؟!

أنا: فاهم طبعًا، فاهم، طيب هنعمل إيه في جثته؟

الشيطان: خلاص يا زين جثته اختفت، كمل شغلك عادي لحد ما أقولك مين التاني.

أنا: حاضر.

خرجت من الغرفة متجهًا إلى غرفتي، دخلت الغرفة وقمت بتغيير ملابسي وإزالة ذلك الوجه السخيف الذي يزين وجهي، هذا الوجه الذي دائمًا ما كنت أكرهه، وجه ذلك المهرج الأخرق المجنون، وقفت أمام المرآة أفكر فيما فعله هذا الرجل قاسم حتَّى يموت بتلك الطريقة البشعة ولماذا هو؟ أفكِّر في أنني أصبحت قاتلًا الآن، لكنني عاجز عن فعل أي شيء فأنا لست ملكي ولن أقدر على مخالفة هذا الشيطان، لا أعلم ماذا سيحل بي إن خالفته، ظللت هكذا طوال الليل أفكر وأفكر وأستنكر فعلتي، كنت عندما أنام أرى قاسمًا في منامي ينظر إليَّ

بحدة كأنه يتوعدني، أقوم مفزوعًا من نومي من منظر قاسم وهو مقطع جسده ومقطوع الرأس، ظللت هكذا بعض الوقت لا أقدر على النوم.

عدت ثانية إلى عروضي السحرية وحياتي العادية من جديد، سافرت كثيرًا لتقديم العروض السحرية بعدة دول، كان كل يوم يمر عليَّ يأتيني قاسم هذا في منامي، لا أستطيع نسيان ما حدث، لقد أصبحت قاتلًا، عابدًا لذلك الشيطان لا أستطيع مخالفة أوامره، بدأت أعمل وأعمل وأقدم عروضًا لكي أنسى ما حدث، بالفعل بدأت في النسيان، انشغلت بالشهرة والمال والنفوذ، كنت عندما أسافر لدولة ما أعامل معاملة كبار الزائرين والدبلوماسيين، زاد صيتي أكثر وأكثر في جميع أنحاء العالم حتَّى ذلك اليوم، كنت أقلِّب في تليفوني المحمول وأبحث على وسائل التواصل الاجتماعي حتَّى قرأت ذلك الخبر الذي دبَّ في قلبي رعبًا وخوفًا وتوترًا.. اختفاء رجل الأعمال قاسم الجندي..

بدأت أقرأ تفاصيل الخبر، تقدم أبناؤه ببلاغ إلى النائب العام يفيد اختفاء رجل الأعمال قاسم الجندي، وأفادت التحقيقات بعد سماع بعض المقربين من رجل الأعمال أفادوا بأنهم قد رأوه آخر مرة عندما كان معهم في حفل بقصر الساحر زين، وأنه بعد انتهاء الحفل خرج من القصر ثم استقل سيارته وانطلق بها ولم يروه منذ ذلك الحين.

أخذت أفكر هل سيأتي رجال الشرطة والنيابة لسؤالي واستجوابي عن اختفاء قاسم؟ لكن الجميع أفاد بخروجه من القصر واستقل سيارته، كنت أفكر كثيرًا بتوتر شديد حتَّى ظهر أمامي بشكله الأنيق، بزيه الأسود المنمق، نظر إلى بسخرية وخبث.

الشيطان: مالك يا زين؟ خايف؟

أنا: أنا مش خايف، أنا بس قرأت الخبر علشان أعرف إيه اللي حصل.

الشيطان: اللي حصل إن قاسم خرج من الحفلة

وركب عربيته أمام الناس كلها، مافيش داعي للتوتر والخوف ده يا زين.

أنا: قولتلك مش خايف ولا متوتر.

الشيطان: زين، قاسم خلاص اختفى ومش هيظهر تاني ومافيش حد هيجي يسألك ولا يستجوبك، فاهم؟

أنا: فاهم... فاهم..

الشيطان: تابع شغلك وعروضك يا زين.

أنا: حاضر.

الشيطان: جهّز نفسك يا زين انهاردة بالليل هاقولك على الضحية التانية.

نظرت إليه ولم أكمل كلامي حتَّى اختفى من أمامي، جلست على الكرسي أفكر، لقد كدت أنسي ما حدث لقاسم حتَّى ذكرني ذلك الخبر، والآن يخبرني بوجود ضحية أخرى، ماذا أفعل؟ ومن تكون هذه الضحية؟

بعدما قتلت قاسم الجندي بدأت الضحايا تتوالى، الشيطان يأمرني وأنا أنفذ وأقتل، تعددت الضحايا حتَّى أصبحت متعودًا على الرائحة الدم، الجميع مثل قاسم، ثراء وغنى، الجميع يكثر من أعمال الخير، الجميع رجال مال وأعمال حتَّى ظننت أن الشيطان له ثأر مع رجال المال والأعمال، زاد الأمر عن حدوده، كلما نظرت في المرآة أجدني وقد سال الدم من فمي ويدي، الجميع يطاردني في أحلامي، لكنني لا أقوى على فعل شيء، الآن وقد أصبح عدد الضحايا الذين تم قتلهم بطرق مختلفة خمس ضحايا، الجميع قتل بعروض سحرية مختلفة، منهم من مات مقطعًا مثل قاسم الجندي، ومنهم من قتل حرقًا ومنهم شنقًا، لقد قتلت الجميع.

حتى حان موعد الضحية الجديدة ولكن هذه المرة كانت مختلفة وصادمة، تلك الضحية تختلف كليًّا عن جميع الضحايا السابقين.

الضحية الأخيرة

كنت جالسًا أفكر فيما هو قادم ومن تكون الضحية القادمة حتَّى جن عليَّ الليل وأنا جالس أفكر ولم أشعر بمرور الوقت، ظهر أمامي فجأة ثانية كما أخبرني بنفس هيئته في كل مرة.

الشيطان: قولتلك بلاش تفكر وتتوتر وتخاف.

أنا: أنا مش خايف ولا متوتر.

الشيطان: تمام.. اسمع بقا علشان تعرف مين الضحية القادمة وتستعد ليها كويس.

بدأ الشيطان يخبرني عن الضحية التالية.

كان شابًا لم يكمل عامه الخامس والثلاثين من عمره، متوسط الحال، لم يكن ثريًّا أو رجل أعمال مثل قاسم وبقية الضحايا، كان متزوجًا وله ولدان صغيران

ويعيش بمنطقة شعبية في حي عابدين بالقاهرة، كان يعمل سائقًا بإحدى شركات السياحة بوسط القاهرة، يحضر الأفواج السياحية ويرافقهم في جولاتهم، ذو خلق عالٍ، محبوب بين عائلته وجيرانه وزملائه بالعمل، يساعد الغير ويعطف على المساكين والفقراء من جيرانه، كان كثير أعمال الخير حتَّى لو لم يكن يمتلك المال الكثير، لم يكن يتوانى عن مساعدة من يحتاج المساعدة، كنت أفكر في كيفية التقرب من هذا الشاب ولكن كان السؤال الأهم بالنسبة لي، ماذا فعل هذا الشاب ليكون هو الضحية التالية؟ ولماذا اختاره الشيطان هو بالذات؟

كان لديَّ مساعد يدعى خالد وكان يعمل سائقًا لديَّ أيضًا، كما كان يعمل مديرًا لأعمالي وتنظيم عروضي وحفلاتي، أتيت به ذات يوم لأتحدث معه.

أنا: يا خالد!

خالد: أفندم مسترزين.

أنا: أنا عايزك تدور على سواق يكون كويس وأمين يشتغل معايا.

خالد: سواق ليه يا فندم وأنا موجود معاك في كل مكان؟

أنا: يا خالد أنت المساعد بتاعي ومدير أعمالي، وأنا محتاجلك تكون معايا في أعمال تانية أكبر.

خالد: تحت أمرك، أنا هبدأ أدور على سواق كويس.

أنا: تمام يا خالد بس يا ريت بسرعة.

خالد: حاضر يا مسترزين.

أمرت خالد بتلك المهمة ولم أكن أعلم كيف سيجد هذا السائق وكيف سيجد هذا الشاب، ولكن تلك الفكرة كانت من وسوسة الشيطان والذي وسوس بها لي.

إبراهيم السائــق

استيقظ إبراهيم مبكرًا كعادته للذهاب إلي عمله، كانت زوجته تحضر له الفطور كالعادة، يتناول فطوره وكوبًا من الشاي ثم يذهب ليقبِّل أبناءه وينزل من بيته متوجهًا إلى عمله بشركة السياحة، يسير بالشارع يلقي التحية على جيرانه مبتسمًا سعيدًا بحياته البسيطة، كان وجهه بشوشا دائمًا مبتسمًا، محبوبًا بين جيرانه والكل يشهد بأخلاقه الرفيعة العالية، وصل إبراهيم إلى مقر الشركة، عندما دخل الشركة ألقى تحية الصباح على زملائه بوجهه البشوش حتَّى قابله عم محمد كبير السائقين بالشركة، وأعطى له مفاتيح السيارة وطلب منه التوجه إلى مطار القاهرة لاستقبال فوج سياحي وتوصيله إلى فندق الإقامة بالقاهرة، بالفعل توجه إبراهيم بسيارته إلى المطار، واستقبل الفوج السياحي

وانطلق بهم إلى فندق إقامتهم، كان إبراهيم يتحدث الإنجليزية بحكم خبرته وعمله مع الأفواج السياحية، بعد أن أتم مهمته وعمله بتوصيل الفوج السياحي إلى فندق الإقامة وتم تسكينهم بالفندق بنجاح، عاد ثانية إلى الشركة وسلم مفاتيح سيارته إلى عم محمد كبير السائقين وجلس يتحدث مع زملائه بالشركة، وكان حديثًا ودودًا مرحًا بينه وبين زملائه، الأمور تسير كالعادة على ما يرام إلى أن أتى عاطف الساعي الخاص بصاحب الشركة.

عاطف: ازيك يا اسطى إبراهيم.

إبراهيم: ازيك يا عاطف، خير؟

عاطف: أستاذ محسن عايزك في مكتبه حالًا.

إبراهيم: خير يا عاطف في حاجة ولا إيه؟

عاطف: مش عارف يا إبراهيم، هو قالي أجيلك وأقولك إنه عايزك حالًا.

إبراهيم: حاضر يا عاطف.

أخذ زملاؤه يمرحون ويمزحون معه ويقولون بإن أستاذ محسن قد طلبه ليعطيه مكافأة، ضحك معهم وهو يتمنَّى ذلك بالفعل، تركهم وذهب متوجهًا إلى مكتب أستاذ محسن صاحب الشركة، طرق إبراهيم باب المكتب وطلب الدخول فأذن له أستاذ محسن، دخل المكتب ووقف أمام مكتب أستاذ محسن في أدب واحترام.

كان أستاذ محسن جالسًا خلف مكتبه ويبدو على وجهه علامات الغضب، توجس إبراهيم خيفة من مظهر وجه أستاذ محسن لكنه كان متأكدا أنه لم يفعل أي شيء يغضبه.

إبراهيم: صباح الخيريا فندم.

محسن: اقفل الباب وتعالى.

رجع إبراهيم وأغلق باب المكتب ثم عاد واقفًا أمام مكتب أستاذ محسن.

إبراهيم: خيريا فندم؟

محسن: خيرإيه؟ أنت إيه اللي عملته ده يا إبراهيم؟

إبراهيم: عملت إيه يا فندم؟

محسن: جاتلي شكوى من واحدة من الفوج السياحي اللي لسة واصل إنك اتحرشت بيها.

إبراهيم: أنا يا فندم؟ ماحصلش كدة، حضرتك عارفني كويس أنا عمري ما أعمل كدة.

محسن: كل الناس شهدت إنك اتحرشت بيها وكانت هتبلغ شرطة السياحة وتقدم شكوى في الشركة.

إبراهيم: ماحصلش يا فندم، أقسم لك ما حصل.

محسن (بغضب): إحنا كشركة لينا سمعتنا يا إبراهيم وأنا مش هاسمح إن حد يضر سمعة الشركة، للأسف أنا مضطر أنهي عملك في الشركة، أنت مرفود، روح خد حسابك من عند عم محمد ومش عايز أشوفك هنا تاني.

إبراهيم: يا فندم أقسم لك ما حصل مني كدة، طيب أروح فين وأولادي أعمل معاهم إيه وياكلوا منين؟!

محسن: مش شغلي، يالَّا اتفضل من هنا ومش عايز أشوفك تاني، اتفضل.

خرج إبراهيم من مكتب أستاذ محسن والحزن يسيطر عليه ويشعر بالظلم والحسرة. خرج ولا يدري ماذا فعل ليتم طرده بهذه الطريقة، وماذا سيفعل بعد ذلك؟ وأين سيعمل؟ وماذا سيقول لزوجته وأبنائه؟

بعدما قابل عم محمد كبير السائقين بالشركة وتحصل منه على باقي مستحقاته، خرج من الشركة يسير في الشوارع حزينًا مهمومًا لا يدري أين يذهب، شاردًا في أفكاره لا يشعر بمن حوله من الناس، كان يعبر الطريق وهو لا يشعر بشيء حتَّى توقفت سيارة فجأة كادت أن تصدمه، وقف مصدومًا ينظر إلى سائق السيارة بعين يملؤها الحزن والصدمة، فلقد كاد أن يموت، خرج سائق السيارة غاضبة وأخذ يلوم إبراهيم بصوت مرتفع في وسط الشارع، لقد كان سارحًا شاردًا ومهمومًا وهو يسير ويعبر الطريق.

السائق: أنت مجنون؟ ازاي تعدِّي الشارع وأنت سرحان؟ أنت عايز تموت؟

نظر إليه بحزن شديد.

إبراهيم: أنا آسف.. ما أخدتش بالي، حقك عليا.

كان هذا السائق هو خالد مساعد زين، نظر إليه خالد بشفقة فصمت ولم يقدر على الكلام، تركه إبراهيم وهم في مغادرة المكان وهو ينظر إلى الأرض من الحزن والحسرة، نادى على خالد مرة أخرى.

خالد: يا أستاذ.. يا أستاذ!

إبراهيم: أفندم... أنا قولت لحضرتك خلاص أنا آسف.

خالد: استنى بس.

إبراهيم: خير.

خالد: شكلك حزين ومهموم، ممكن أعرف مالك يمكن أقدر أساعدك؟

إبراهيم: صاحب الشغل طردني ومش عارف أعمل إيه وأروح فين.

خالد: أنت بتشتغل إيه؟

إبراهيم: كنت سواق في شركة سياحة.

خالد: وإيه اللي حصل؟

قص عليه إبراهيم ما حدث معه من صاحب الشركة، وأقسم له إنه لم يفعل ذلك الفعل المشين، لأنه يعلم الله جيدًا ولم ولن يفعل أي شيء يغضبه وأنه قد ظلم، كما أخبره عن أبنائه وزوجته وماذا سيفعل معهم ويقول لهم، وكيف ستكون ردة فعلهم عندما يعلموا أنه قد طرد من عمله، حتَّى سأله خالد.

خالد: أنت اسمك إيه؟

إبراهيم: اسمي إبراهيم.

خالد: ده الكارت بتاعي يا إبراهيم لو احتاجت أي حاجة كلمني على طول يمكن أقدر أساعدك.

إبراهيم: أنا متشكر جدًّا لحضرتك.

أعطى خالد له الكارت ثم أخرج بعض المال ليعطيه له، ولكن إبراهيم أبى أن يأخذ منه ذلك المال ولكن خالد أصر على إعطائه المال، وبعد جدال لوقت طويل وإصرار من خالد أخذ إبراهيم منه المال على مضض، ذهب إبراهيم في طريقه تاركًا خالد واقفًا أمام سيارته ينظر إليه حتَّى غاب عن ناظريه، عاد إلى سيارته وانطلق بها.

أما إبراهيم فكان كما هو يتملَّكه الحزن والهم.

كان خالد يسير بالسيارة، أخرج هاتفه المحمول وقام بالاتصال بزين.

خالد: مساء الخير يافندم.. أنا لقيت اللي أنت عايزه.. سواق ممتاز وأمين.. تمام يا فندم.. مع السلامة.

أغلق هاتفه وأكمل طريقه بالسيارة، ظل يسير في الشوارع حتَّى وجد نفسه واقفًا أمام منزله، كان مترددًا في الدخول خشية مواجهة زوجته وأبنائه، حتَّى رأى جارة له

تبلغ من العمر فوق السبعين عامًا جالسة أمام بيتها، توجه إليها وألقى عليها السلام وسألها عن حالها، فأخبرته أنها تواجه بعض المشاكل بسبب تأخر صرف معاشها الشهري وأن صاحب المنزل يطالبها بالإيجار الشهري وهي لم تمتلك المال اللازم في الوقت الحالي، فأخرج بعض المال وأعطاها إياه، نظرت إليه وبكت من فرحتها وأخذت تدعي له بصلاح الحال وكثرة الرزق، نظر إليها بفرحة وراحة بال ثم تركها وذهب.

كان يسير خلفه بالسيارة ليعرف أين يقيم، ظل جالسًا بسيارته يراقبه من بعيد حتَّى رآه يدخل منزله، قام بالاتصال ثانية بسيده زين، تحدث معه قليلًا ثم تحرك بسيارته ناحية منزل إبراهيم، نزل من سيارته وسأل أحد المارة عن منزل إبراهيم فأخبره.

دخل إبراهيم منزله وكانت زوجته تعد الطعام كالعادة وبنيه يلعبان بغرفتيهما، جلس على الأريكة ولم يتحدث بكلمة واحدة، كان يدور بخاطره كيف يخبر زوجته

بما حدث معه، كانت زوجته تنظر إليه مستفسرة على عودته مبكرًا من عمله ولماذا تظهر عليه علامات الحزن، همت لتسأله عمَّا به حتَّى طرق باب المنزل، ذهبت زوجته لتفتح الباب حتَّى وجدت خالد واقفًا أمامها..

خالد: مساء الخيريا فندم.

الزوجة: مساء الخير، مين حضرتك؟

خالد: يا ترى الأسطى إبراهيم موجود؟

الزوجة: آه موجود، أقوله مين؟

خالد: ممكن أقابله؟

الزوجة (باستغراب): حاضر ثانية واحدة.

دخلت الزوجة وأخبرت زوجها بوجود رجل غريب يريد مقابلته، نهض إبراهيم وتوجه إلى باب المنزل ليرى من يريد أن يقابله، عندما رآه صمت بضع ثوانٍ من الدهشة حتَّى تحدث إليه.

خالد: مساء الخيريا إبراهيم.

إبراهيم: أنت؟! أنت عرفت العنوان ازاي؟

خالد: طيب ممكن أدخل ونتكلم جوَّة.

إبراهيم: آه طبعًا اتفضل.

أدخله إبراهيم إلى المنزل وأجلسه أمر زوجته بإحضار كوبًا من الشاي لضيافته،

سأله متعجبًا كيف عرف عنوانه وما الذي أتى به؟ فأخبره خالد بأنه كان يسير خلفه بالسيارة لكي يعلم عنوانه، ثم أخبره بأنه لديه عمل له عند الساحر زين، فرح فرحًا شديدا بذلك حتَّى أنه قد بكى من فرحته بذلك الخبر ونزل على الأرض وسجد سجدة شكر لله، ظل خالد يشرح له طبيعة عمله مع الساحر زين، وإنه سوف يدفع له أجرًا أكبر بكثير عما كان يتقاضاه في شركة السياحة، وافق إبراهيم على الفور وسأله متى يبدأ عمله كسائق مع الساحر زين، فأخبره خالد أنه يستطيع أن يبدأ عمله من الغد، وافق إبراهيم على الفور، أعطى خالد له عنوان قصر زين وطلب منه الحضور مبكرًا في

الصباح، ثم أعطى له مال مرة أخرى، فأبى أن يأخذ المال ولكن خالد أخبره بأن ذلك المال هو جزء من راتبه الشهري الذي سيتقاضاه من العمل مع زين، أخذ المال من خالد وشكره كثيرًا على فعلته هذه معه، تركه خالد وذهب عائدًا إلى القصر، وهو في طريقه قام بالاتصال بزين وأخبره بما حدث مع إبراهيم،

حمد إبراهيم ربه كثيًرا وظل يصلي طوال الليل على ما أنعم الله به عليه وعلى ستره أمام زوجته وبنيه.

لم ينم إبراهيم من فرحته بعرض خالد إليه وسعادته بتعويض الله له عن عمله الذي طرد منه، ظل مستيقظًا حتَّى الصباح، نهض إبراهيم وارتدى ملابسه واستعد مغادرًا إلى عمله الجديد، أحضرت له زوجته الإفطار فتناوله مسرعًا حتَّى لا يتأخر على موعده مع خالد ليتسلم عمله، خرج من منزله وتوجه إلى قصر زين كما أخبره خالد لمقابلة زين واستلام عمله كسائق له، وصل إبراهيم إلى القصر نظر إلى القصر من الخارج وكان منبهرًا

من فخامته ومساحته الشاسعة، دخل القصر فوجد خالد في انتظاره ببهو القصر، طلب منه خالد بأن يجلس قليلًا حتَّى يأتي زين لمقابلته قبل أن يستلم عمله معه، جلس إبراهيم بضع دقائق حتَّى رآه نازلًا على السلم في هيبته، فوقف وكان هو ناظرًا إليه في إعجاب مبتسمًا له حتَّى وصل إليه زين وألقى عليه التحية وصافحه.

***

اللقـــاء

كنت جالسًا في الصباح في غرفتي أتناول فطوري وكوبًا من الشاي حتَّى دخل عليَّ خالد ليخبرني بحضور السائق الجديد وأخبرني بأنه يدعى إبراهيم، نظرت إليه مبتسمًا وهززت رأسي إيجابًا، ثم أمرته بأن يذهب إليه وأنني سوف آتي إليهما بعد خمس دقائق، ارتديت ملابسي وخرجت من غرفتي متوجهًا نازلًا لبهو القصر لمقابلة إبراهيم، وجدته جالسًا وعندما رآني نازلًا إليه هم واقفًا ينظر إليَّ بابتسامة بريئة، فتوجهت إليه وألقيت عليه التحية وصافحته ثم طلبت منه الجلوس مرة أخرى وجلست أمامه، طلبت منه أن يخبرني عن نفسه وعن حياته وعن عمله السابق، ثم تطرقنا إلى حياته الشخصية وزوجته وبنيه، كان يحكي ويتكلم معي

بعفوية وتلقائية رجل بسيط، فكان كل ما يدور بخاطري لماذا هذا الرجل؟ ماذا فعل ليكون هو الضحية؟ وما الحكمة من قتل رجل كهذا؟

فجأة وجدته يخرج حافظته من جيبه وأخرج منها صورتين لبنيه وهو يبتسم فرحًا بهما وأنه كيف يحبهما، لا أعلم ماذا حدث لي؟ ولماذا رق قلبي له ولبنيه؟ ولكنني مجبر على قتله، أخبرته بأنني قد وافقت على علمه معي كسائق خاص بي، ثم أخرجت بعض المال وأعطيته له، وطلبت منه بأن يأتي غدًا مبكرًا ليستلم عمله ويستلم السيارة الخاصة بي، خرج إبراهيم من القصر فرحًا سعيدًا بعمله معي وبالأموال التي حصل عليها مني كبداية راتبه.

صعدت إلى حجرتي وأنا قلبي يعتصر على هذا الرجل، ولكنني لا أقدر على فعل شيء حياله، كيف أرفض قتل هذا الرجل! هذا العقد والعهد اللعين، إذا رفضت ذلك فسوف يكون هلاكي وعذابي ومن الممكن أن تكون نهايتي، ظللت جالسًا في حجرتي أفكر حتَّى وجدته جالسًا

أمامي في هيئته البهية الجميلة ماسكًا عصاه واضعًا قدمًا على الأخرى ناظرًا إليَّ بابتسامة ساخرة.

الشيطان: بتفكر تخون العهد وتخل بالعقد يا زين؟

أنا: لا طبعًا، أنا ماقدرش أعمل كدة.

الشيطان: أعقل يا زين، افتكر إنك لو خالفت العقد هتشوف عذاب عمرك ما شوفته.

أنا: وأنا مش هخالف العقد ولا العهد، بس عندي سؤال.

الشيطان: طبعًا هتسأل ليه الراجل ده.

أنا: بالظبط، ليه الراجل ده؟ عمل إيه؟

الشيطان: قولتلك قبل كدة أنت تنفذ وبس وهتعرف كل حاجة في وقتها.

أنا: بس ده راجل غلبان وفقيروعنده أولاد.

فجأة نهض الشيطان من مقعده بغضب وتحول لون وجهه إلى الأحمر الداكن، وتحولت هيئته الجميلة إلى

هيئة غاضبة مخيفة، وتحول صوته الناعم الرقيق الخبيث إلى صوت غليظ مرتفع يهز أرجاء المكان اهتزت له أواصلي.

الشيطان (بغضب): زين.. قولتلك ماتسألش على حاجة مش بتاعتك، وهتعرف كل حاجة في وقتها وتنفذ اللي أقولك عليه من غير نقاش، فاهم ولا لا؟!

دب في قلبي الرعب من هيئته وصوته ولم أقدر على الكلام، فهززت رأسي إيجابًا بتوتر وخوف.

الشيطان: ده آخر إنذار ليك يا زين ومش محتاج أفكرك تاني، لو خالفت العقد هتشوف عذاب عمرك ما شوفته وحياتك كلها هتتدمر، نفذ اللي أقولك عليه من غير نقاش.

فجأة اختفى من أمامي وتركني واقفًا ساكنًا مكاني من الخوف، الخوف الذي حل بي من حديثه هذا.

جلست أفكر في حديثه هذا وفيما وصلت إليه، لماذا أصبحت هكذا؟ ماذا فعلت الأموال لي؟ لم أسترح قط،

حياتي أصبحت جحيمًا من كثرة الدماء، لم أعد أحتمل ذلك، لكي أصبح ثريًّا ذا نفوذ وشهرة أصبحت قاتلًا تلطخت يدي بالدماء، ما الذي دفعني للسير خلف ذلك الشيطان؟ صدق من سمَّاه شيطان رجيم، لقد خدعني بتلك الحياة البالية، هذا الوهم المسمَّى بالأموال، الأموال التي أتت بسفك الدماء، ماذا أفعل الآن؟ لا أستطيع المقاومة أو الاعتراض على أوامره وعدم تنفيذها، لا أعلم ماذا سيفعل بي؟ وكيف سيعذبني إن لم أنفذ ما يقوله لي؟ يا الله ماذا أفعل؟ الله؟! اليوم فقط تذكرت الله! اليوم فقط أتذكر أن هناك إله! أين كان عقلي مما وصلت إليه؟ لا أملك الآن سوى تنفيذ أوامره وقتل هذا الرجل المسكين، لا أملك سوى ذلك.

ظللت هكذا حتَّى جن الليل عليَّ وأنا مكاني ماكثًا في غرفتي أفكر حتَّى دق باب الغرفة، كان خالد حاضرًا ليذكرني بميعاد العرض السحري الخاص بي غدًا،

أخبرته بأنني جاهز لذلك ما أخبرته بتجهيز إبراهيم لكي يكون جاهزًا لبدأ العمل معنا، ثم تركني بغرفتي كما

أنا وغادر، مكثت مكاني جالسًا على فراشي حتَّى غلبني النوم مكاني.

كنت واقفًا عند تلك الشجرة كثيفة الأغصان والفروع التي كنت أنام تحتها، ثم دخلت إلى جذعها فوجدت نفسي في ذلك الكهف مرة أخرى، فإذا بقاسم الجندي واقفًا في منتصف الكهف وخلفه الضحايا الأربع الآخرين تسيل الدماء من أجسادهم جميعًا، عيونهم بيضاء، كانوا ينظرون إليَّ أو هكذا أظن، دب الرعب في قلبي من هذا المشهد المخيف، أخذت أبحث عن مخرج من هذا الكهف فلم أجد، أخذت أدور حول نفسي للخروج من الكهف، فجأة بدأوا يمدوا يدهم نحوي والدماء تسيل منها، الجميع يشدني من ملابسي، يريدون قتلي، نظرت إلى أعلى فوجدت الشيطان ينظر إلى ويبتسم ابتسامة خبيثة، فوجدت يدًا تمتد إلى وتنتشلني من وسط هؤلاء، فإذا يإبراهيم يجذبني يهرب بي من بين أيديهم ويهرب بي منهم ويخرج بي من ذلك الكهف، كنا

نجري سويا حتَّى وجدت نفسي أهوى في حفرة لا أعلم من أين ظهرت.

أخذت أهوى وأهوى في عمق تلك الحفرة وإبراهيم ينظر إليَّ لا يستطيع أن يفعل لي شيئًا، بدأت صورته تتلاشى وسط الظلام.

استيقظت فجأة وأنا ألحث أشهق بصعوبة وأتصبب عرقًا، كان كابوسًا مرعبًا، دق باب الغرفة فجأة فتملكني الرعب، كان هو خالد يوقظني للاستعداد لعرض اليوم ويخبرني بحضور إبراهيم السائق والذي ينتظر أمام القصر بجانب السيارة، فهذا هو أول يوم له بالعمل معي، فأخبرت خالد بالانتظار بالأسفل حتَّى أنهض وأقوم بتبديل ملابسي، بالفعل استجاب خالد لطلبي وغادر نازلًا إلى بهو القصر لينتظرني.

نهضت ودخلت لأستحم وأبدل ملابسي، نزلت من غرفتي فوجدت خالد جالسًا فوقف عندما رآني.

أنا: صباح الخير يا خالد.

خالد: صباح الخيريا فندم.

أنا: إيه أخبار العرض؟

خالد: كل شيء جاهز.

أنا: والجمهور؟

خالد: تم حجز تذاكر العرض بالكامل.

أنا: تمام يا خالد.. المفروض نمشي امتى؟

خالد: كمان ساعتين يا فندم.

أنا: فين إبراهيم؟

خالد: جنب العربية في الخارج.

أنا: فهمته طبيعة الشغل كويس؟

خالد: حصل يا فندم.

أنا: إيه رأيك في إبراهيم يا خالد؟

خالد: رجل طيب وأمين وعايز يشتغل.

أنا: اندهله يا خالد عايز اتكلم معاه.

خالد: حاضر يا فندم.

خرج خالد من القصر ليأتي إليَّ بإبراهيم كما أمرته، بالفعل أتى خالد ومعه إبراهيم وأقبلا عليَّ.

إبراهيم: صباح الخير يا فندم.

أنا: صباح الخير يا إبراهيم، عامل إيه؟

إبراهيم: الحمد لله في نعمة بفضل الله.

طلبت منه الجلوس فجلس في خجل مني، ثم طلبت منه أن يحكي لي عن نفسه وعن أسرته، فبدأ يتكلم ويحكي لي عن زوجته وكيف تزوجها بعد حب دام أكثر من خمس سنوات، وعن بنيه الاثنين وكيف يحبهما حبًّا كبيرًا، وكيف لا يحبهما وهو أبيهما؟! ثم أخرج محفظته من جيبه وأخرج منها صورة لبنيه، أعطى لي الصورة لأشاهدها، نظرت فيها، وكيف لا يحبهما وهما كالملكين، بريئين جميلين بالفعل، سرحت بخيالي وصمت قليلًا وأنا أنظر إلى صورتهما وتذكرت ذلك الكابوس المرعب، كما تذكرت أن الشيطان قد أمرني بقتل إبراهيم، ذلك الرجل

الطيب، طلبت منه أن يذهب وينتظر بالسيارة وطلبت من خالد أن يتركني وحدي بعض الوقت، خرج خالد وتركني وحيدًا، كنت مهمومًا وعقلي مشغولًا بما أنا فيه الآن وبما رأيت في منامي، كان عقلي يحدثني بتنفيذ أوامر الشيطان، فلقد ساعدني لأصبح ما أنا عليه الآن من شهرة ونفوذ وثراء، لكن صورة بني إبراهيم كانت لا تفارقني وحديثه عنهما لا يغيب عن مسامعي وقلبي يعتصر عليهما، بدأ العذاب يدب في قلبي، عذاب الندم على ما فعلت مع الضحايا السابقين، وعذاب ما أنا عليه الآن والحيرة التي أنا بها، ما بين أوامر الشيطان بقتل إبراهيم وما بين ما سيحدث لي إذا خالفت أوامره بعدم قتله.

أتى خالد إليَّ ليخبرني أنه قد حان الوقت للذهاب والاستعداد لتقديم العرض السحري الخاص بي، ذهبت وركبت سيارتي وكان إبراهيم جالسًا في الأمام ويستعد للقيادة.

انطلقنا بالسيارة ذاهبين إلى مكان مسرح العرض الخاص بي، كنت طوال الطريق ملتزم الصمت أفكر فيما

هو قادم وفيما أنا فيه، لكن إبراهيم لم يكف الحديث عن بنيه وعن زوجته وأهل منطقته الشعبية بحي عابدين، حتَّى أنه طلب مني أن أرافقه ذات يوم لمنزله لأتناول الغداء مع أسرته وأن أرى ذلك الحي الشعبي، لم يكن يعلم بأنني كنت ذات يوم في حي شعبي أيضًا وكانت لي أسرة قبل أن أصبح وحيدًا، فأخبرته بأنني سوف أفكر بذلك، وصلنا إلى مكان العرض وبدأت في التحضير لتقديم العرض، كالعادة كان عرضًا مذهلًا أدهش جميع الحضور كان مثيرًا، أعجب إبراهيم بالعرض السحري، فلقد سمحت له بأن يشاهد العرض خلف الكواليس.

كان سعيدًا جدًّا لدرجة أنه طلب مني بأن يصطحب بنيه في يوم من الأيام ليشاهدا العرض السحري معه فوافقت على ذلك، أنهيت العرض ورجعت إلى القصر ثم طلبت من إبراهيم أن يغادر إلى منزله ثم يأتي إليَّ في الصباح، غادر إبراهيم وتركني أنا وخالد سويًا في القصر.

خالد: إيه رأيك في إبراهيم؟

أنا: سواق ممتاز وطيب وشكله أمين.

خالد: يعني كدة خلاص موافق إنه يكمل شغل معانا؟

أنا: آه خلاص يا خالد، بس يا ريت تزود مرتبه اللي اتفقنا معاه عليه شوية.

خالد: ليه كدة؟ احنا هنديله مرتب أكبر من اللي كان بيحلم بيه.

أنا: علشان أولاده وأسرته يا خالد، ده راجل غلبان.

خالد: حاضر اللي تؤمر بيه.

أنا: خلاص يا خالد يالا أنت كمان امشي دلوقتي وتعالى بكرة الصبح علشان أنا تعبان وعايز أنام وأرتاح.

خالد: حاضر يا فندم، تصبح على خير.

أنا: وأنت من أهل الخير.

غادر خالد أيضًا وتركني وحيدًا، جلست بعض الوقت في بهو القصر شاردًا في أفكاري حتَّى ظهر أمامي فجأة بنفس هيئته التي لطالما كرهتها.

الشيطان: عجبك إبراهيم؟

أنا: عجبني ازاي يعني؟

الشيطان: زودت مرتبه وعزمك تتغدى في بيته وهيجيب أولاده يتفرجوا على العرض، إيه الحكاية يا زين؟

أنا: مافيش حكاية ولا حاجة، أنا بس بطمنه من ناحيتي.

الشيطان: بتطمنه؟ دي خطة جديدة ولا إيه؟

أنا: أنت أمرتني إني أقتله وأسلملك روحه، خلاص سيبني أعمل كدة.

الشيطان: أنت مش عارف يا زين إني بقدر أقرأ أفكارك وأعرف إيه اللي جواك وبتفكر فيه؟ مش محتاج أفكرك بالعقد والعهد والعذاب لو منفذتش الأوامر.

نظرت إليه في صمت متوترًا لا أستطيع الكلام، وجدته أمامي مباشرة ووجهه قريبًا جدًّا من وجهي،

أحسست بحرارة مرتفعة عندما اقترب مني وهو ناظرًا إليَّ بعينيه السوداء.

الشيطان: لو فكرت يا زين إنك تغدر وتخون وتخالف العقد هتشوف اللي عمرك ما شوفته، عذاب مافيش بشر شافه في التاريخ، فاهم يا زين؟

كنت أستمع إليه بخوف شديد والعرق يتصبب مني، تصلبت أطرافي لم أستطع الحركة، حتَّى تحدث بصوت حاد اهتزت له أركان القصر.

الشيطان: زين، قدامك يومين، يومين بس وتقدم روح إبراهيم قربان ليَّا، قربان لأمير النور، يومين يا زين، فاهم.

ثم اختفى كما ظهر وتركني واقفًا لا أستطيع الحركة والكلام من صدمتي، ضربات قلبي يكاد يسمعها العالم أجمع، يومين فقط، كيف أفعل ذلك؟ يومين فقط لقتل إبراهيم، ماذا فعل ذلك المسكين ليقتل هكذا؟ ماذا أفعل؟ لقد اكتفيت من سفك الدماء، ماذا أفعل الآن؟

لم أنم في تلك الليلة من التفكير فيما هو قادم، لم يتبقَّ أمامي سوى يومين فقط لأقتل إبراهيم، كيف أقتله؟ ولماذا؟ وإلى متى سأظل هكذا؟ وكم من شخص سيراق دمه تقربًا للشيطان؟ كل تلك الأسئلة كانت تدور بخاطري ولم أستطع النوم من التفكير بها، لم أشعر كم من الوقت مر عليَّ وأنا جالس هكذا إلى أن وجدت نور الصباح وقد بدأ في الظهور، نهضت وصعدت إلى غرفتي لأقوم بتغيير ملابسي وأحاول أن أستريح قليلًا، دخلت الغرفة واستلقيت على سريري فغلبني النوم من شدة التعب والإرهاق، كالعادة كانت تطاردني دماء من قتلتهم وأجد إبراهيم ينقذني وينتشلني من بين أيديهم، إنه ذلك الحلم نفسه الذي يراودني كل ليلة، ذلك الكابوس الذي يطاردني في منامي كل ليلة، لم أشعر كم من الوقت استغرقت في نومي إلى أن سمعت الطرق على باب الغرفة، كان ذلك خالد أتى ليوقظني ويخبرني بموعد العرض السحري الخاص بي غدًا مساءً ويخبرني بترتيبات وتجهيزات هذا العرض.

لقد كان هذا هو المتبع بيني وبين خالد قبل كل عرض أقوم به، لكن هذا العرض كان مختلفًا عن كل العروض السابقة حتَّى تلك العروض التي قتلت فيها كل ضحاياي، ذلك العرض الذي سوف أقتل فيه إبراهيم، أشعر أنني لم أقم بقتل أحد من قبل، كان شعورًا رهيبًا مخيفًا مرعبًا، إذا قتلت ذلك المسكين كيف سأواجه بنيه وزوجته؟ وقبل كل ذلك كيف سأواجه نفسي؟ لكن السؤال الأكثر حيرة بالنسبة لي هو لماذا أشعر ذلك الشعور تجاه هذا الشخص بالأخص؟ خصوصًا وأنني قد قتلت من قبل ولم أشعر بأي ندم أو خوف؟ لماذا هو؟

أنهيت حديثي مع خالد وكان حديثًا عاديًّا عن العرض وترتيباته كالعادة، وأمرته بتحضير وتجهيز كل شيء وأمرته بأن يحضر إبراهيم لي لأخبره بشيء ما، خرج خالد من الغرفة وبعد قليل حضر إبراهيم إلى في غرفتي، طرق الباب فأمرته بالدخول.

إبراهيم: صباح الخيريا فندم.

أنا: صباح الخير يا إبراهيم، عامل إيه؟

إبراهيم: بخير الحمد لله.

أنا: ها مبسوط في الشغل معانا؟

إبراهيم: جدًّا يا فندم، مبسوط ومرتاح جدًّا، كفاية ذوق حضرتك ومعاملتك ليا وكمان أستاذ خالد بيعاملني باحترام جدًّا.

أنا: طيب كويس، جهز العربية علشان هنروح مشوار.

إبراهيم: حاضر يا فندم، بعد إذن حضرتك.

أنا: اتفضل يا إبراهيم.

خرج إبراهيم من الغرفة لتجهيز السيارة كما أمرته، ونهضت أنا لأستحم وأغيِّر ملابسي، خرجت من غرفتي واتجهت إلى أسفل، خرجت من باب القصر فوجدت إبراهيم جالسًا في السيارة أمام باب القصر، عندما رآني خرج مسرعًا من السيارة ثم فتح لي باب السيارة، دخلت

وجلست ثم ركب إبرهيم وجلس أمام عجلة القيادة صامتًا ينظر إلى من خلال المرآة، كنت شاردًا قليلًا ولم ألحظ نظرات إبراهيم لي، حتَّى انتبهت له.

أنا: مالك يا إبراهيم؟ واقف ليه؟

إبراهيم: حضرتك ما قولتليش هتحرك على فين.

أنا: صحيح، اطلع على السيرك القومي.

إبراهيم مستعجبًا: السيرك القومي؟

أنا: مالك يا ابراهيم، أنت نسيت إن أنا ساحر ولا إيه، اتفضل اطلع على السيرك القومي.

إبراهيم: تحت أمرك يا فندم.

السيرك القومي؟ لماذا أردت أن أذهب إلى السيرك القومي؟ ما الذي دفعني لذلك لا أعلم، ظللت طوال الطريق شاردًا أفكر في كيفية قتل إبراهيم وإذا لم أقتله ماذا سيفعل الشيطان معي؟ هل سيقتلني أم سيعذبني ويتركني أعاني؟ فأنا الآن أعاني بالفعل، أعاني من عذاب

ضميري الذي هو أشد وأقوى من أي عذاب في هذه الدنيا. بالفعل وصلنا إلى السيرك القومي، وقف إبراهيم بالسيارة أمامه منتظرًا نزولى من السيارة ومنتظرًا أوامرى له، كنت جالسًا في الخلف كما أنا، تذكرت يوم الحريق الذى شب في السيرك وكيف مات عز وكم ضحية ماتت في ذلك الحريق وكم مصابًا! ظللت جالسًا شاردًا قليلًا وإبراهيم ينتظر، حتَّى أمرته بالتحرُّك عائدًا مرة أخرى إلى القصر، نظر إليَّ باستغراب ودهشة ثم أدار السيارة وانطلق بها عائدًا إلى القصر، ونحن في طريقنا مررت على تلك الحديقة، نظرت إليها وإلى تلك الشجرة كثيفة الأغصان والفروع، أخذت أنظر إليها ونحن نسير بجوار الحديقة حتَّى اختفت من أمام ناظري، عدنا إلى القصر ثانية، نزلت من السيارة واتجهت إلى داخل القصر وإبراهيم جالسًا في السيارة ينظر إليَّ بدهشة واستغراب مما حدث مني، دخلت القصر واتجهت الى غرفتي، دخلت الغرفة وأغلقت بابها ثم جلست شاردًا كما كنت، الغريب في الأمر أن ذلك الشيطان اللعين لم يأتِ إليَّ منذ

تركني وكأنه ينتظر ماذا سأفعل وكيف أفكر، ظللت في غرفتي طوال اليوم لم أغادرها حتَّى أن خالد وإبراهيم كانا مندهشين مما أنا فيه، وحاول خالد كثيرًا أن يدخل الغرفة إليَّ ويحدثني ولكنني رفضت ذلك، حتَّى أنني لم أتناول الطعام مطلقًا في ذلك اليوم، حتَّى جن الليل وأنا في غرفتي، كانت الوقت كلما يقترب من ذلك اليوم يدب في قلبى رعب وتوتر، لكن دهشتي ورعبي الأكبر كان هو اختفاء ذلك الشيطان اللعين، الوقت يمر وغدًا يقترب والليل يكد أن ينجلي، كل هذا وأنا جالس مكاني أفكر حتَّى عزمت أمري.

حلَّ الصباح وأنا في غرفتي، نهضت واستحممت وغيَّرت ملابسي وغادرت غرفتي، نزلت إلى بهو القصر وجدت خالد جالسًا منظرني، ألقيت عليه تحية الصباح وطلبت منه بأن يأمر لنا بالافطار لنتناوله سويًا وطلبت منه بأن يحضر إبراهيم السائق ليتناول الإفطار معنا، كان مترددًا في البداية لكنه وافق في نهاية الأمر بعد إلحاح منِّي، حضر إبراهيم وخالد وتناولنا الإفطار معًا، كنت أنظر إلى

إبراهيم بابتسامتي الخبيثة كعادتي في يوم تقديم روح الضحية إلى ذلك الشيطان، ثم بعد ذلك طلبت منهما الاستعداد للعرض السحري وطلبت من خالد تجهيز بعض المعدات والأجهزة الخاصة بي لاستخدامها في العرض، بالفعل ذهب خالد لتنفيذ ما أمرته به ورجعت لغرفتي للاستعداد للعرض، حتَّى طرق باب غرفتي فكان إبراهيم يريد الدخول، أمرته بالدخول.

إبراهيم: بعد إذن حضرتك ممكن أروح البيت لمدة ساعة وارجع على طول.

أنا: خير يا ابراهيم في حاجة ولا إيه؟

إبراهيم: خير يا فندم بس هشوف الأولاد واطمن عليهم علشان كانوا تعبانين شوية.

أنا: ماشى يا ابراهيم بس اوعى تغيب علشان ميعاد العرض.

ابراهيم: حاضر يا فندم ان شاء الله مش هغيب.

أنا: اتفضل يا إبراهيم.

خرج إبراهيم من الغرفة بعد أن سمحت له بالذهاب إلى منزله للاطمئنان على بنيه، وبعد أن أعطيته بعض المال ليشتري لهما الأدوية اللازمة لعلاجهما، أخذت أستعد وأجهز نفسي وملابسي لذلك العرض وكأنه العرض الأخير، لماذا أقول ذلك لا أعلم.

ذهب إبراهيم إلى منزله ثم عاد مسرعًا كما أمرته، طلبت منه الذهاب إلى السيارة وتجهيزها والاستعداد للذهاب إلى مكان العرض، وكان خالد كان قد أتم جميع التجهيزات والاستعدادات للعرض.

***

العـرض الأخيـــر

لم يأتِ الشيطان إليَّ منذ يومين ولم يظهر لي، كان ينتظر ماذا سأفعل، تحضرت واستعددت جيدًا للعرض، كالعادة الجمهور يملأ قاعة المسرح ينتظرون بشغف عرض الساحر زين، هذا الساحر المدهش المثير، الجميع ينتظرون على أحر من الجمر، طلبت من إبراهيم أن يجلس يشاهد العرض من الكواليس كما فعلت في العرض السابق، كنت في غرفتي أستعد لتقديم العرض وأرتدي ملابسي الخاصة بالعرض، كعادتي في تقديم تلك العروض التي أقتل بها الضحايا، ارتديت بزتي السوداء ووضعت على وجهي ذلك المسحوق لأظهر بنفس الشكل، ذلك المهرج المخيف ذو الابتسامة الخبيثة واضع على رأسي ذات القبعة السوداء.

أتى خالد إليَّ وطرق باب الغرفة ليخبرني باستعداد الجميع على المسرح، أخبرته بأنني سوف أحضر خلال دقيقة واحدة، وقفت أنظر فى المرآة التي كانت بغرفتي أطلت النظر إليها حتَّى وجدتني ابتسم نفس الابتسامة الخبيثة الشيطانية، خرجت من الغرفة متوجهًا الى المسرح وأنا في طريقي، وجدت إبراهيم واقفًا في الكواليس وينظر إليَّ بابتسامة بريئة فأشرت له بالقدوم إليَّ، أتى مسرعًا إليَّ فوضعت يدي على كتفه ونظرت له، وأخبرته بأنه سيساعدني في عرض الليلة على المسرح، دهش من كلامي معه وإخباره بهذا ولكنني طمأنته وأخبرته بأن الأمر في منتهى السهولة عليه فقط أن يستمع إليَّ جيدًا وينفذ أوامري فقط وسوف يكون بخير معي على المسرح كما أخبرته بأنه سيستمتع أكثر وهو بالقرب مني على المسرح.

هز رأسه إيجابًا وكان سعيدًا بذلك، نظرت إليه بخبث وتركته وذهبت إلى المسرح لتقديم العرض السحري.

عندما صعدت على المسرح دب التصفيق والتهليل من الجمهور الذى كان يملأ المسرح، رفعت يدي وأشرت إليهم بغرور وتعالي وتكبُّر، فأنا أعظم وأشهر ساحرًا في العالم، كنت أرى أمامي حياتي السابقة وكيف تركت منزلي وتركت أبي وأمي وأخي، تذكرت الساحر عز وكيف علمني فنون ومبادئ السحر وكيف مات حرقًا في السيرك، تذكرت موت أبي غضبًا عليَّ وكيف طردني أخي عبد الله من المنزل. تذكرت الحديقة والشجرة وكيف كنت أنام تحتها وذلك الحلم الذي ظل يراودني في ذلك الوقت، تذكرت ذلك الشيطان وكيف أقنعني بالتوقيع على العقد وكيف تعاهدنا، تذكرت كل الضحايا الذين قتلتهم في عروضي بداية من هذا الرجل قاسم الجندي، كل ذلك مر أمام عيني في ثوانٍ معدودة.

بدأت بتقديم فقرات العرض العادية وأنا أشرح محدثًا الجمهور بطريقتي الغامضة المثيرة كالعادة والجمهور مستمع مستمتعًا بالعرض، مع كل فقرة أقدمها يدب المسرح بالتصفيق والتهليل، حانت ساعة

الفقرة الأكبر والأخطر وهي الفقرة الرئيسة في هذا العرض، كان إبراهيم واقفًا خلف الكواليس ينظر إليَّ وينتظر إشارتي له بالقدوم إلى المسرح، كانت الفتيات يحضرن جهازًا خاصًّا حتَّى أشرت لإبراهيم بالقدوم إليَّ على المسرح، وضعت يدي على كتفه وأخذت أدور من حوله وأنا أشرح تلك الفقرة بصوت خبيث وغامض، كانت الفقرة عبارة عن دخول إبراهيم داخل هذا الجهاز وإغلاقه عليه ثم إضرام النيران في الجهاز وفي إبراهيم، همست في أذن إبراهيم بألَّا يخاف فهذه خدعة ولا يوجد شيء اسمه سحر، مجرد خدعة وخفة يد، طلبت من الفتيات بإدخال إبراهيم داخل الجهاز، أتت تلك الفتاة ثانية وأخذت تتحسس جسد إبراهيم وهي تنظر إليه بإغراء وتعض على شفتيها ثم تهمس في أذنه بأنها سوف تنتظره بعد العرض، كان هذا المتبع مع جميع الضحايا السابقين، الجمهور ينتظر بشغف، بدأ تلك الفقرة وإبراهيم ينظر إليَّ بقلق وخوف وأنا أطمأنه، أغلقت الفتيات الجهاز على إبراهيم وبدأت بالإشارة إلى

الجمهور، ثم أتت فتاة تحمل شعلة نار في يدها وهي تسير على المسرح أمام الجمهور بخفة وإثارة ثم أعطتني الشعلة، رفعت الشعلة عالية ليراها جميع الحضور ثم توجهت إلى الجهاز وأشعلت فيه النيران، بدأت النيران تنتشر في الجهاز حتَّى أنها بدأت تنتشر بداخله حتَّى وصلت إلى إبراهيم، ظهر أمام الناس أنه يتألم من الاحتراق بالنار، فجأة أشرت بيدي لأعلى حتَّى نزلت ستارة سوداء من أعلى أخفت الجهاز وإبراهيم خلفها عن الجمهور، أخذت أدور حول المسرح وأشير بإشارات استعراضية والموسيقى الصاخبة المثيرة تكاد تصم الأذان حتَّى أشرت مرة أخرى فرفعت الستارة السوداء، فظهر الجهاز من خلفها ولكن النيران قد اطفأت ولا يظهر إبراهيم بداخله، أخذت أفتح الأقفال التي كان الجهاز مغلقًا بها حتَّى فتحت الجهاز ولم يكن به إبراهيم، دب التصفيق بحرارة والهليل والصفير بالمسرح وأنا واقف رافع يدي بكبرياء أمام الجمهور، انتهى العرض السحري المبهر والمثير وبدأ الجمهور في مغادرة المسرح، خرجت

مسرعًا متوجهًا إلى غرفتي، دخلت الغرفة وأغلقت الباب خلفى وبدأت في إزالة ذلك الوجه المخيف عن وجهي وتغيير ملابسي، فجأة انطفأ النور وحلَّ الظلام وارتفعت حرارة الغرفة كأنها نشب فيها النار، كانت كالجحيم، سمعت صوت ضحكة خبيثة عالية تدب في المكان، علمت أنه هو، الشيطان، وقفت أنظر حول نفسي في أرجاء المكان لكني لم أكن أرى أي شيء، الظلام حالك ولا يوجد أحد، صوت غليظ مخيف يحدثني.

الشيطان: زين، بتخدعني يا زين؟!

أنا: أنا مش بخدعك، أنا نفذت أوامرك.

الشيطان: ما قتلتش إبراهيم زي ما أمرتك يا زين.

أنا: قتلته، أنا حرقته قدام الناس كلها.

الشيطان: أنت فاكر إنك ممكن تخدعني يا زين، أنا موجود حواليك وفي كل مكان. كنت موجود وأنت بتتفق مع خالد هتعملوا إيه بالظبط، وكنت موجود لمَّا خرجت مع إبراهيم وروحت السيرك القومي واتفقت معاه في

العربية على كل حاجة، أنت هرَّبت إبراهيم من الفتحة اللي في المسرح اللي كانت مخفية تحت الجهاز، أنت أخليت بالعقد والعهد يا زين وماقتلتش إبراهيم، أنت كدة اخترت العذاب، العذاب يا زين.. قصدي يا علي.

ضحك ضحكة مرعبة تنخلع منها القلوب، كنت أقف مكاني أتصبب عرقًا لا أعرف ماذا أفعل وماذا أقول، الرعب قد أصاب أطرافي بالشلل.

فجأة أضاء النور مرة أخرى، ولكن هذه ليست غرفتي التي كانت بالمسرح، إنها غرفة في مكان آخر لا أعرفه، غرفة صغيرة قذرة رائحتها كريهة، لا يوجد بها سوى سرير مغطى بملاءة متسخة والأتربة تملأها وكرسي متهالك ومرآة كبيرة معلقة على الحائط، كنت أنظر في كل أرجاء الغرفة برعب وخوف، توجهت إلى المرآة ونظرت فيها، فوجدتني أرتدي بنفس تلك الملابس الرثة المهلهلة التي كنت أرتديها عندما أضرمت النيران في السيرك ووجهي يملأه الغبار فجأة ظهرت أمامي صورة كأنها فيلم سينمائي، كانت صورتي وأنا أتحدث مع خالد في غرفتي في

القصر عندما كنا نرتب ونجهز للعرض وأخبره بما سيفعله أثناء العرض وتحضير الفتحة وسط المسرح والجهاز المستخدم في العرض، ثم انتقلت الصورة بعد ذلك ليظهر فيها أنا وإبراهيم ونحن في السيارة عندما طلبت منه أن نذهب إلى السيرك، وأخبرته بما سيفعله في العرض عندما يكون داخل الجهاز لكنني لم أخبره بموضوع قتله هذا ثم بعد ذلك ظهرت أمامي صورتي وأنا على المسرح أثناء العرض وإبراهيم يهرب من الجهاز من خلال تلك الحفرة أسفل المسرح ويذهب إلى بيته وبنيه كما أمرته، ثم ظهرت صورتي واقفًا ناظرًا للمرآة ولكن ما هذا؟ مَن هذا؟

إنه أنا ولكن بدت على وجهي وشعري علامات الشيب، جسمي يظهر أنه نحيل أكثر من اللازم، لم أكن كذلك من قبل، ماذا حدث لي؟ ثم سقطت على الأرض مغشيًا عليَّ.

أفقت لم أكن أعلم كم من الوقت مضى على وأنا في هذا الحال فوجدتني مستلقيًا على ذلك السرير القذر

القديم ويجلس بجانبي خالد، نظرت إليه بفرح شديد الآن وقد أتى خالد لينقذني مما أنا فيه، نظرت خلفه فوجدت تلك الفتاة الجميلة المثيرة التي كانت تشاركني العروض السحرية، لقد أتيا من أجلي.

هممت لأنهض لكنني لم أستطع، جسدى ثقيل متعب، لا أستطيع الحركة، أشعر بألم بجميع أطرافي، الألم يسيطر على كل جسدي من رأسي حتَّى مخمص قدمي، نظرت إلى خالد أحدثه بصعوبة.

أنا: خالد، إيه اللي حصل؟ أنا مالي مش عارف اتحرك ليه؟

خالد: استريح أنت تعبان يا علي.

أنا: علي؟! أنا زين يا خالد.

خالد: أنت نسيت اسمك زي ما نسيت نفسك ولا إيه يا علي؟

نظرت إليه بدهشة وهو كان ينظر إليَّ بابتسامة خبيثة مخيفة.

خالد: ماتستغربش يا علي، أنا مش اسمي خالد.

أنا: أمال أنت مين؟

فجأة تحوَّل خالد إلى ذلك الرجل الوسيم ذي الهيبة والهيئة الجميلة، إنه هو الشيطان.

الشيطان: مافيش حد اسمه خالد يا علي، أنا كنت خالد، وكنت معاك طول الوقت.

كنت أنظر إليه بصدمة ودهشة ورعب وهو يتحدث ويبتسم إليَّ بخبث وسخرية، ثم نظرت للفتاة الواقفة خلفه رأيتها تنظر إليَّ وتبتسم بسخرية هي الأخرى.

الشيطان: كلهم أتباعي يا علي، كلهم خدامي، أنت فاكر إني كنت هسيبك لوحدك.

أنا: أنت عملت فيا إيه؟ أنا تعبان ومش قادر أتحرك؟

الشيطان: أنت هتفضل كدة طول عمرك لحد ما هتموت، هتفضل تتعذب من الألم وهتتمنَّى الموت، مش هتفارق السرير ده، مافيش أكل ولا شرب ولا علاج ولا أي

حد هيقدر يعالجك ويخرجك من اللي أنت فيه، هتفضل كدة تتألم وتتعذب في مكانك.

أنا: بس أنا كنت خدامك وتابع ليك وبنفذ كل أوامرك.

الشيطان: وخالفت العقد والعهد يا علي وأنا حذرتك، ده بقا الشرط الجزائي يا علي.

أنا: أنت هتعمل فيَّا إيه؟

الشيطان: أنا عملت خلاص يا علي، جسمك المرض هياكله وهتفضل تتعذب كدة لحد الموت.

فجأة ضحك ضحكة مرعبة خبيثة وتحول وجهه إلى وجه ذلك المهرج المرعب، ثم وقف وهو ينظر إليَّ بخبث ثم اختفى هو والفتاة من أمامي.

حاولت النهوض مرارًا وتكرارا لكنني لم أستطع النهوض، الألم يضرب رأسي بشدة وجسدي لا يحتمل أي حركة أقوم بها، يا الله ماذا حدث لي؟ وماذا فعل الشيطان بي؟ يا الله انقذني مما أنا فيه، الله؟! الآن فقط أتذكر الله؟!

ظللت هكذا في هذا المكان والمرض يتوحش بداخلي والأيام تمر عليَّ لا أعلم الوقت الذى ينقضي، أظن أنني هكذا منذ أيام لا منذ شهور لا منذ سنين، لا أعلم، لا أعلم. لا أعلم سوى أنني بدأت أتمنَّى الموت لأنتهي من هذا العذاب، كان يظهر أمامي يبتسم دون كلام ثم يختفي ثانية من أمامي، كل ليلة يفعل ذلك، كل ليلة أترجاه أن يخفف عني ما أنا به ويرحمني لكنه يأبى ذلك.

هل علمت ما أنا أشعر به؟ هل تعلمت شيئًا مما أنا فيه؟ لا أظن، فدائمًا طريق الشيطان لا يوجد به سوى العذاب والخسران.

الآن يا صديقي بعد كل هذا الوقت الذي لا أعلمه من شدة عذابي أشعر بأنني على وشك النهاية، أشعر بأنني قد حان موعدي، لكنني أشعر بندم شديد وأتمنَّى من الله أن يغفر لي هذا الغباء الذي دفعني لأسلك طريق الشيطان! فلقد دفعت ثمنًا باهظًا عندما فقدت أبي وتركت عائلتي، وعندما كنت عنيدًا ولم أستمع إلى نصائح أبي، خطأ فادح دفعت ثمنه من حياتي وراحتي وصحتي، الآن وأنا أخبرك

بقصتي هذه لكي تستوعب الدرس جيدًا ولا تسير خلف الشيطان ولا تبيع نفسك إليه، فمَن باع نفسه للشيطان خسر كل شيء.

الوداع يا صديقي، الوداع.

بســـــم الله الرحمن الرحيم

(وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ)

صدق الله العظيم

تمت بحمد الله...

***